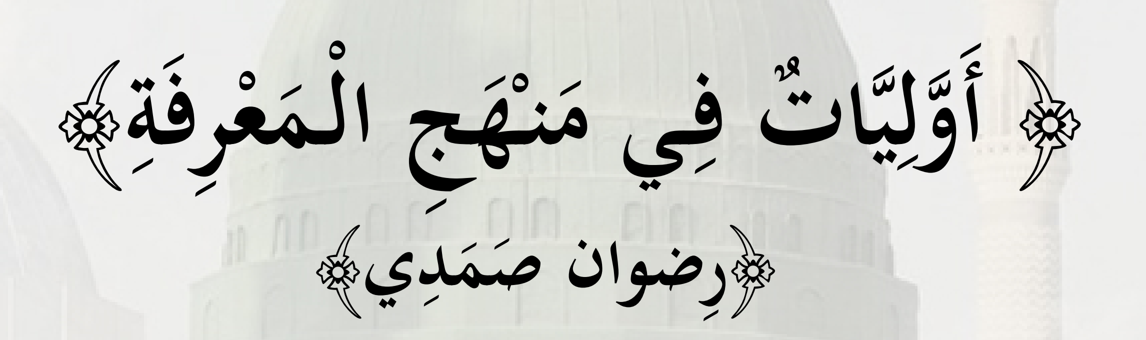


﴿أَوَّلِيَّاتٌ فِي مَنْهَجِ الْمَعْرِفَةِ﴾

﴿رِضوان صَمَدِي﴾



(١٤٣٩هـ-٢٠١٨م)

(مُقَدِّمَةُ الرِّسَالَةِ)

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْحَقِّ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنْ بُعِثَ بِالْحَقِّ، خَيْرِ مَنْ عَلِمَ الْحَقَّ وَعَلَّمَ، وَأَفْضَلِ مَنْ فَهِمَ عَنِ الْحَقِّ وَفَهَّمَ، سَيِّدِنَا رَسُولِ الْحَقِّ مُحَمَّدٍ، مَنْ خَاطَبَ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ الْمُمَجَّدِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الْعُدُولِ الْعَالِمِينَ، الذينَ حَمَلُوا الْعِلْمَ الْحَقَّ فَنَفَوْا عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الْمَنْهَجِ بِإِحِسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ: فَهَذِهِ رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ فِي «**أَوَّلِيَّاتِ مَنْهَجِ الْمَعْرِفَةِ**»، وَقَدْ يُسَمِّيهَا الْبَعْضُ: «**نَظَرِيَّةَ الْمَعْرِفَةِ**».

(الْمَقْصُودُ بِمَنْهَجِ الْمَعْرِفَةِ وَمُحْتَوَىٰ الرِّسَالَةِ)

وَأَقْصِدُ بِـ«**مَنْهَجِ الْمَعْرِفَةِ**»: الطَّرِيقَ الذي يَسْلُكُهُ الْعَاقِلُ فِي ذِهْنِهِ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، وَيَتَضَمَّنُ هَذَا الطَّرِيقُ: الْمُصْطَلَحَاتِ وَالْمَفَاهِيمَ الأَوَّلِيَّةَ لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَإِمْكَانِيَّةَ الْوُصُولِ إِلَىٰ هَذِهِ الْحَقَائِقِ الْمَعْرِفِيَّةِ، وَمَحَالَّ هَذِهِ الْحَقَائِقِ فِي ذِهْنِ الْبَاحِثِ وَخَارِجِهِ، وَأَرْكَانَ عَمَلِيَّةِ الاسْتِدْلالِ، وَمَصَادِرَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمَعْنَىٰ التَّنَافِي وَالتَّضَادِّ وَالتَّنَاقُضِ الْعَقْلِيِّ، وَبعضَ الْمَصَادِرِ الْمُتَوَهَّمَةِ وَهِيَ لَيْسَتْ مَصَادِرَ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، وَقَوَاعِدَ كُلِّ مَصْدَرٍ مِنْ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ عَلَىٰ سَبِيلِ الإِجْمَالِ، وَمَا هُوَ «الْحُكْمُ» أَوِ «التَّصْدِيقُ» أَوِ «الاعْتِقَادُ»، وَأَقْسَامَ الْحُكْمِ: الْعَقْلِيِّ مِنْهَا وَالشَّرْعِيِّ وَالْعَادِيِّ، وَمَاذَا يَفْعَلُ الْبَاحِثُ عِنْدَ تَعَارُضِ الْمَصَادِرِ فِي مَدْلُولاتِهَا، كَالتَّعَارُضِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ وَكَذَا بَيْنَ الْعَادَةِ وَالشَّرْعِ، ثُمَّ الْكَلامَ عَنِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَىٰ، وَأَنْوَاعِ الْمَجَازِ، وَمَصَادِرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَدَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَىٰ تِمَامِ مَعْنَاهُ، أَوْ جُزْئِهِ، أَوْ لُزُومِهِ، ثُمَّ التَّنْبِيهَ عَلَىٰ عَقَبَاتٍ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ الْحَقَائِقِ، وَأَخِيرًا: عَوْدٌ عَلَىٰ بَدْءٍ بِذِكْرِ مَاهِيَّةِ مِعْيَارِ الْحَقِيقَةِ وَمِلاكِهَا.

(الْبَاعِثُ عَلَىٰ هَذِهِ الْكِتَابَةِ)

وَمَا ذَكَرْتُ: إِلا مَبَادِئَ أَسَاسِيَّةً وَ«**أَوَّلِيَّاتٍ**» لِهَذَا «**الْمَنْهَجِ**»، جَمَعْتُهَا وَكَتَبْتُهَا تَيْسِيرًا لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَالْبَاحِثِينَ، وَالْمُثَقَّفِينَ، وَقَاصِدِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ؛ لِتَكُونَ سَبِيلاً لِلْعَقْلِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَطَرِيقًا لِلْفِكْرِ الْمَنْهَجِيِّ، وَتَمْهِيدًا لِلدُّخُولِ فِي **دَقَائِقِ هَذِهِ الْبُحُوثِ**.

وَهَذِهِ «**الأَوَّلِيَّاتُ**» بِمَثَابَةِ الْحَدِّ الأَدْنَىٰ لِلأَسَاسِ الْعِلْمِيِّ الذي يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ كُلُّ «**عَاقِلٍ، وَمُثَقَّفٍ، وَطَالِبِ عِلْمٍ، وَبَاحِثٍ**» فِي بِنَاءِ ذِهْنِهِ وَفِكْرِهِ بِمَعْلُومَاتٍ صَحِيحَةٍ، وَإِقَامَةِ بِنَاءٍ مَعْرِفِيٍّ مُنْضَبِطٍ، وَأَيْضًا هَذِهِ «**الأَوَّلِيَّاتُ**» تُعَدُّ بِمَثَابَةِ الْحِصْنِ الْعِلْمِيِّ لِسَلامَةِ تَفْكِيرِهِ مِنَ الْخَلَلِ، وَحَتَّىٰ لا يَنْفُذَ إِلَىٰ فِكْرِهِ مَعْلُومَاتٌ بَاطِلَةٌ أَوْ خَاطِئَةٌ أَوْ مُتَوَهَّمَةٌ، خَاصَّةً وَنَحْنُ فِي زَمَنٍ عَمَّ فِيهِ الاضْطِرَابُ الْفِكْرِيُّ وَالْخَلَلُ الْعِلْمِيُّ، سَوَاءٌ مِنْ دَاخِلِ الْمُسْلِمِينَ: كَالْجُمُودِ الدِّينِيِّ، وَالتَّطَرُّفِ، وَالضَّلالِ، وَالابْتِدَاعِ، وَالتَّحَلُّلِ، وَالْمُيُوعَةِ الدِّينِيَّةِ، أَمْ مِنْ خَارِجِ الْمُسْلِمِينَ: كَالإِلْحَادِ، وَالْمَذَاهِبِ الْفِكْرِيَّةِ الْبَاطِلَةِ: الشَّرْقِيَّةِ مِنْهَا وَالْغَرْبِيَّةِ، فَهَذِهِ الأَوَّلِيَّاتُ هِيَ الْحَاكِمُ لِفِكْرِ الإِنْسَانِ تَأْسِيسًا لِلصَّحِيحِ، وَسَدًّا مَانِعًا مِنَ السَّقِيمِ.

(عَقَبَاتٌ فِي قِرَاءَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ)

وَمَنْ يَطَّلِعُ عَلَىٰ هَذِهِ الرِّسَالَةِ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّادِيَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْبُحُوثِ قَدْ تَخْفَىٰ عَلَيْهِ بَعْضُ الْمَوَاضِعِ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، فَلْيَبْحَثْ فِي الْمَعَاجِمِ اللُّغَوِيَّةِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَلْيَسْأَلْ أَهْلَ الذِّكْرِ وَالاخْتِصَاصِ، وَلْيَسْتَفْهِمْ مِنَ الأَسَاتِذَةِ وَالْمُعَلِّمِينَ، وَلْيَتَحَاوَرْ مَعَ أَقْرَانِهِ فِي الْعِلْمِ وَالدَّرْسِ وَمَجَالِسِ التَّثْقِيفِ، وَلْيُمْعِنِ النَّظَرَ وَالتَّأَمُّلَ وَالتَّفَكُّرَ فِي الْكَلامِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ.

وَلْيَلْجَأْ إِلَىٰ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ بِالتَّضَرُّعِ فِي الدُّعَاءِ لِيُلْهِمَهُ طَرِيقَ الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ، وَلْيُكْثِرْ مِنَ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ عَلَىٰ خَيْرِ الْمُعَلِّمِينَ ﷺ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَىٰ مُبْتَغَاهُ مِنَ الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ، فَلْيَحْمَدِ الْمَوْلَىٰ ﷻ عَلَىٰ مَا بِهِ أَنْعَمَ، وَلْيُصَلِّ عَلَىٰ خَيْرِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ، وَلا يَسْتَطِلْ بِعِلْمِهِ عَلَىٰ الْخَلْقِ، فَيُسْلَبَ مِنْهُ مَا مُنِحَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ.

(مَوَارِدُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَعَمَلُ الْكَاتِبِ فِيهَا)

وَهَذَا الْمَنْهَجُ مُدَوَّنٌ فِي عُلُومٍ: الْحِكْمَةِ وَالْفَلْسَفَةِ، وَالْكَلامِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالْفِقْهِ، وَالْقَانُونِ، وَأُصُولِ الْفِقْهِ، وَأُصُولِ الْحَدِيثِ، وَالْمَنْطِقِ، وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِفُرُوعِهَا، وَالْوَضْعِ، وَآدَابِ الْبَحْثِ وَالْمُنَاظَرَةِ، وَالتَّارِيخِ، وَأَعْرَضْتُ عَنْ ذِكْرِ مَصَادِرِ الْكَلامِ فِي الْهَامِشِ اخْتِصَارًا وَيَعْلَمُهَا أَهْلُ الاخْتِصَاصِ، فَهَذِهِ الرِّسَالَةُ بِمَثَابَةِ مَتْنٍ أَوْ كَالْمَتْنِ لِهَذِهِ الْمَبَاحِثِ، وَسَأُعْقِبُهُ بِشَرْحٍ لَهُ إِنْ شَاءَ الْمَوْلَىٰ ﷻ .

وَلَيْسَ لِي مِنْ عَمَلٍ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلا جَمْعَ الْكَلِمَاتِ وَالْعِبَارَاتِ، مِنْ مُصَنَّفَاتِ الأَكَابِرِ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ السَّادَاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ، وَتَيْسِيرِهَا عَلَىٰ قَدْرِ مَا مَنَحَنِي اللهُ مِنْ هِبَاتٍ، ثُمَّ التَّنْسِيقَ بينَهَا بِمَا يَقْتَضِي الْمَقَامُ وَالْحَالُ، وعَلَىٰ اللهِ أَوَّلاً وَآخِرًا الاعْتِمَادُ وَالاتِّكَالُ، وَسَمَّيْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ: «**أَوَّلِيَّاتٍ فِي مَنْهَجِ الْمَعْرِفَةِ**»، وَاللهَ أَسْأَلُ وَبِنَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَتَوَسَّلُ: أَنْ يُصَحِّحَ عَمَلِي هَذَا، وَيَتَقَبَّلَهُ مِنِّي، وأَنْ يَنْفَعَ بِهَا النَّفْعَ الْجَلِيلَ، إِنَّهُ الْقَدِيرُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

(١) مُصْطَلَحَاتٌ فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ

الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ مُتَرَادِفَانِ، وَقِيلَ: بِوُجُودِ فَرْقٍ بَيْنَهُمَا:

- **فَعَلَىٰ الْفَرْقِ** قَالُوا: «**الْعِلْمُ** إِدْرَاكُ الْكُلِّيِّ وَالْجُزْئِيِّ»، **وَ**«**الْمَعْرِفَةُ**: إِدْرَاكُ الثَّانِي فَقَطْ»، أَوْ: «إِدْرَاكُ الْبَسِيطِ»، **وَالْعِلْمُ**: «إِدْرَاكُ الْمُرَكَّبِ».
- **وَعَلَىٰ التَّرَادُفِ**: **فَـ**«**الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ**: «إِدْرَاكُ الأَمْرِ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ».

وَالإِدْرَاكُ: «وُصُولُ النَّفْسِ إِلَىٰ مَعَنًىٰ مُعَيَّنٍ تَامٍّ»، وَ«وُصُولُهَا إِلَىٰ مَعْنًىٰ لا بِتَمَامِهِ» يُسَمَّىٰ: **شُعُورًا**، وَالإِدْرَاكُ لِلْمَعْلُومِ: قَدْ يَكُونُ تَصَوُّرًا، وَقَدْ يَكُونُ تَصْدِيقًا، **وَالتَّصَوُّرُ**: «إِدْرَاكُ الْمُفْرَدِ»، **وَسَبِيلُهُ**: التَّعْرِيفَاتُ وَالْحُدُودُ، كَأَنْ أَقُولَ:

«الْمَسْجِدُ هُوَ: أَرْضٌ مَوْقُوفَةٌ لِصَلاةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ الدَّوَامِ»، **وَالتَّصْدِيقُ**: «إِدْرَاكُ النِّسْبَةِ بَيْنَ مُفْرَدَينِ مَعَ الإِذْعَانِ وَالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ»، وَقِيلَ: غَيْرُ ذَلِكَ، وَيُبْحَثُ تَفْصِيلُ الْخِلافِ فِي مُقَدِّمَاتِ عِلْمِ الْمَنْطِقِ وَعِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ، وَيُسَمَّىٰ التَّصْدِيقُ أَيْضًا: **اعْتِقَادًا**، وَهُوَ: «الإِدْرَاكُ الْجَازِمُ الْمُطَابِقُ لِلْوَاقِعِ عَنْ دَلِيلٍ»، وَهُوَ الإِيمَانُ الشَّرْعِيُّ، وَيُسَمَّىٰ: **حُكْمًا** أَيْضًا وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ، **وَسَبِيلُ التَّصْدِيقِ**: الدَّلِيلُ وَالْحُجَّةُ وَالْبُرْهَانُ.

(مِثَالٌ) كَأَنْ أَقُولَ: «اللهُ مَوْجُودٌ»، **فَإِدْرَاكُ** لَفْظُ الْجَلالَةِ «اللهِ»: تَصَوُّرٌ، **وَإِدْرَاكُ** «الْوُجُودِ»: تَصَوُّرٌ، **وَإِدْرَاكُ** النِّسْبَةِ بَيْنَ «الله» وَ«مَوْجُودٌ»: تَصَوُّرٌ، **وَإِدْرَاكُ** النِّسْبَةِ بَيْنَ «الله» وَ«مَوْجُودٌ» مَعَ الإِذْعَانِ وَالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ: تَصْدِيقٌ، وهو اعْتِقَادٌ، وَإِيمَانٌ شَرْعِيٌّ.

(قَاعِدَةٌ) وَلِذَلِكَ قَالُوا: «الْحُكْمُ عَلَىٰ الشَّيْءِ فَرْعٌ عَنْ تَصَوُّرِهِ».

الدَّلِيلُ وَالْحَقِيقَةُ وَالْحَقُّ وَالْبَاطِلُ

وَ«مَا يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ بِصَحِيحِ النَّظَرِ فِيهِ إِلَىٰ مَطْلُوبٍ خَبَرِيٍّ» يُسَمَّىٰ: **دَلِيلاً، وَالْمَطْلُوبُ الْخَبَرِيّ**: «هُوَ الْمَسْأَلَةُ الْعِلْمِيَّةُ الْمُرَادُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا وَالتَّحَقُّقُ مِنْهَا»، وَهِيَ جُمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ لا إِنْشَائِيَّةٌ، كَ: «مُحَمَّدٌ رَسُولٌ»، وَ«الْمُدْرِكُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَهذِهِ الْمَعْرِفَةِ» يُسَمَّىٰ: **عَارِفًا وَعَالِمًا**، وَ«الْمُصَدِّقُ الْمُذْعِنُ لَهَا بِدَرَجِتِهَا» يُسَمَّىٰ: **مُصَدِّقًا وَمُؤْمِنًا وَمُعْتَقِدًا**، وَ«الْعَالِمُ الْعَارِفُ بِهَا مَعَ التَّكْذِيبِ وَالإِعْرَاضِ فِي نَفْسِهِ» يُسَمَّى: **مُعَانِدًا مُسْتَكْبِرًا**، فَافْتَقَدَ شَرْطَ الإِذْعَانِ وَالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ، مَعَ وُجُودِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾[النَّمل: ١٣-١٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾[البقرة: ١٤٦-١٤٧].

والْحَقِيقَةُ: «هُوَ الأَمْرُ ذَاتًا أَوْ مَعْنًىٰ، تَصَوُّرًا أَوْ تَصْدِيقًا، مُثْبَتًا أَوْ مَنْفِيًّا»، فَإِدْرَاكُ الْحَقَائِقِ: «هُوَ إِدْرَاكِ الأُمُورِ ذَاتًا أَوْ مَعْنًىٰ، تَصَوُّرًا أَوْ تَصْدِيقًا، مُثْبَتًا أَوْ مَنْفِيًّا»، وَإِدْرَاكُ هِذِهِ الْحَقَائِقِ هُوَ الْمَعْرِفَةُ وَالْعِلْمُ.

والْحَقُّ: «هُوَ الْمَوَافَقَة بَيْنَ مَا فِي الذِّهْنِ مِنْ إِدْرَاكِ الأشياء بِضَابِطِهَا لِمَا هُوَ فِي نَفْسِ الأَمرِ بِدَلِيلٍ»، **فَـ«الْحَقُّ» هُنَا مُرَادِفٌ لِـ«الْعِلْمِ» وَ«الْمَعْرِفَةِ»**.

وَالْبَاطِلُ: ضِدُّ الْحَقِّ، وَهُوَ: «التَّخَالُفُ بَيْنَ مَا فِي الذِّهْنِ مِنْ إِدْرَاكِ الْحَقَائِقِ لِمَا هُوَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ».

(مِنْ فَلْسَفَةِ الدَّلِيلِ)

وَالأَصْلُ أَنَّ «**الدَّلِيلَ الصَّحِيحَ**» لا يُوْصِلُ إلا إِلَىٰ الْحَقِّ، فَهُوَ هُنَا أَمْرٌ مِعْيَارِيٌّ مُجَرَّدٌ، لا يُوْصَفُ بِحَقٍّ وَلا بِبَاطِلٍ، وَلَكِنْ قَدْ يَعْتَرِي هَذَا الدَّلِيلَ انْحِرَافٌ عَنْ قَوَاعِدِهِ وَأُصُولِهِ، لِهَوًى أَوْ غَرَضٍ أَوْ خَطَأٍ أَوْ وَهْمٍ أَوْ غَفْلَةٍ أَوْ نِسْيَانٍ أَوْ خَفَاءٍ عِنْدَ الْمُسْتَدِلِّ، فَيُؤَدِّي إِلَىٰ الانْحِرَافِ عَنِ الْحَقِّ تَبَعًا، بِقَدْرِ انْحِرَافِ الدَّلِيلِ، فَيُوْصَفُ هِذَا الدَّلِيلُ بِأَنَّهُ «**دَلِيلٌ فَاسِدٌ**».

وَالْقَاعِدَةُ الأَصْلِيَّةُ التِي اتَّفَقَ الْعُقَلاءُ عَلَىٰ صِحَّتِهَا، وَلا تَحْتَاجُ إِلَىٰ دَلِيلٍ عَلَيْهَا؛ لأَنَّهَا قَاعِدَةٌ عَقْلِيَّةٌ بَدَهِيَّةٌ ضَرُورِيَّةٌ وَهِيَ: «**التَّنَاقُضُ بَاطِلٌ**»، وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ، فَـ«**الْعَقْلُ**» هُوَ الأَصْلُ فِي إِدْرَاكِ الْحَقَائِقِ، ثُمَّ الإِدْرَاكُ عِنْ طَرِيقِ بَدَهِيَّاتِ الْحِسِّ وِالْخَبَرِ وَسَيَأْتِي بَيَانُهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[الحج: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ فِي قُرْآنِهِ: ﴿**أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾، وَقَالَ أَيْضًا فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ فِي قُرْآنِهِ: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[النَّحل: ٧٨]، وَهِذِهِ الرِّسَالَةُ مُقَدِّمَةٌ ضَرُورِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ «**الدَّلِيلِ الصَّحِيحِ**» مِنَ «**الدَّلِيلِ الْفَاسِدِ**».

(أَنْوَاعُ الْعِلْمِ)

وَالْعِلْمُ: ضُرُورِيٌّ وَنَظَرِيٌّ، **فَالضَّرُورِيُّ**: «مَا لا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَأَمُّلٍ وَفِكْرٍ»، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ «**الْبَدَهِيُّ**» مِنَ الْبَدَاهَةِ، **وَالنَّظَرِيُّ**: «مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَأَمُّلٍ وَفِكْرٍ»، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ «**اكْتِسَابِيٌّ**» وَ«**اسْتِدْلالِيٌّ**».

كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ نَوْعَانِ: قَدِيمٌ وَحَادِثٌ، **فَالْعِلْمُ الْقَدِيمُ**: هُوَ عِلْمُ اللهِ ﷻ، وَهُوَ لا يُوْصَفُ لا بِنَظَرِيٍّ وَلا بِضَرُورِيٍّ وَلا بِسَبْقِ جَهْلٍ أَوْ خَفَاءٍ وَلا بِطُرُوءِ خَطَأٍ أَوْ نِسْيَانٍ أَوْ سَهْوٍ أَوْ غَفْلَةٍ أَوْ جَهْلٍ وَلا بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشُّورَىٰ: ١١]، **وَالْعِلْمُ الْحَادِثُ**: هُوَ عِلْمُنَا، وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِكُلِّ مَا سَبَقَ سِوَىٰ مَا وُصِفَ بِهِ اللهُ وَبِمَا سَيَأْتِي.

كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ: **عَقْلِيٌّ**، **وَعَادِيٌّ**، **وَشَرْعِيٌّ**، وَسَيَأْتِي بَيَانُهَا في أَقْسَامِ الْحُكْمِ.

(دَرَجَاتُ الإِدْرَاكِ)

وَ«إِدْرَاكُ الْحَقَائِقِ، تَصَوُّرًا وَتَصْدِيقًا، نَفْيًا أَوْ إِثْبَاتًا، بِمَصَادِرِهَا» يُسَمَّىٰ: **عِلْمًا وَمَعْرِفَةً**، وَدَرَجَةُ هَذَا الْعِلْمِ وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الْيَقِينِ وَالظَّنِّ وَالشَّكِّ وَالْوَهْمِ يَكُونُ بِحَسَبِ قُوَّةِ الدَّلِيلِ؛ فَـ«مَا كَانَ الإِدْرَاكُ فِيهِ جَازِمًا نَفْيًا أَوْ إِثْبَاتًا» يُسَمَّىٰ: **يَقِينًا وَاعْتِقَادًا أَوْ عِلْمًا قَطْعِيًّا**، وَ«مَا كَانَ الإِدْرَاكُ فِيهِ رَاجِحًا لِطَرَفٍ دُونَ الآخَرِ» سُمِّيَ الرَّاجِحُ: **ظَنًّا**، وَالْمَرْجُوحُ: **وَهْمًا**، وَ«مَا تَسَاوَىٰ فِيهِ الطَّرَفَانِ» سُمِّيَ: **شَكًّا**، وَقَدْ يُسَمُّونَ الثَّلاثَةَ الأُخَارَىٰ **عِلْمًا ظَنِّيًّا** فِي مُقَابِلِ الْيَقِينِ وَالْقَطْعِ.

وَقَدْ يُطْلَقُ «**الاعْتِقَادُ**» عَلَىٰ مُدْرَكَاتِ الإِنْسَانِ **يَقِينِيَّةً** كَانَتْ أَوْ **ظَنِّيَّةً**، كَأَنْ أَقُولَ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ صَلاةَ الظُّهْرِ فَرْضٌ» **لِلأَوَّلِ**، وَ«أَعْتَقِدُ أَنَّ الْقُنُوتَ فِي الصُّبْحِ سُنَّةٌ» **لِلثَّانِي**.

وَبِنَاءً عَلَىٰ مَا سَبَقَ: فَالْعِلْمُ الضَرُورِيُّ لا يَكُونُ إِلَّا يَقِينِيًّا، وَالنَّظَرِيُّ قَدْ يَكُونُ قَطْعِيًّا يَقِينِيًّا، وَقَدْ يَكُون ظَنِّيًّا.

(دَرَجَاتُ الْيَقِينِ)

وَالْيَقِينُ ثَلاثُ دَرَجَاتٍ:

(١) **عِلْمُ الْيَقِينِ**: وَيَكُونُ لَنَا بِالْبَدَاهَةِ أَوِ الاسْتِدْلالِ، كَعِلْمِنَا بِوُجُودِ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ أَوْ بِوُجُودِ الْجَنَّةِ فِي الآخِرَةِ، وَيَفْضُلُ وَيَزِيدُ عَلَيْنَا الأَنْبِيَاءُ بِيَقِينِ الْوَحِي.

(٢) **وَعَيْنُ الْيَقِينِ**: وَيَكُونُ لَنَا بِرُؤْيَةِ الْعَيْنِ لِلأُمُورِ الظَّاهِرَةِ، كَرُؤْيَتِنَا لِلْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ عِنْدَ ذَهَابِنَا إِلَىٰ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ، وَرُؤْيَتِنَا لِلْجَنَّةِ مِنْ بُعْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَفْضُلُ وَيَزِيدُ الأَنْبِيَاءُ وَكِبَارُ الأَوْلِيَاءِ بِانْكِشَافِ الْغَيْبِ لَهُمْ.

(٣) **وَحَقُّ الْيَقِينِ**: وَيَكُونُ لَنَا بِمُمَاسَّتِهَا حِسًّا، كَمُمَاسَّتِنَا لِلْكَعْبَةِ عِنْدَ الْمُلْتَزَمِ، وَدُخُولِنَا الْجَنَّةَ بَعْدَ اجْتِيَازِ الصِّرَاطِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ (آمِينَ)، وَيَفْضُلُ وَيَزِيدُ الأَنْبِيَاءُ وَكِبَارُ الأَوْلِيَاءِ بِحَقَائِقَ لِلْيَقِينِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ.

(الْجَهْلُ وَأَنْوَاعُهُ)

وَالْجَهْلُ: «هُوَ عَدَمُ الْعِلْمِ»، وَهُوَ نَوْعَانِ: مُرَكَّبٌ وَبَسِيطٌ، فَالْمُرَكَّبُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ حِينَ يُسْأَلُ: مَتَىٰ حَدَثَتِ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الأُولَىٰ ؟ فَيَقُولُ: «١٩٥٠م»، وَالْبَسِيطُ أَنْ يَقُولَ: «لا أَدْرِي»، **فَالْبَسِيطُ** هُوَ: «انْتِفَاءُ الْعِلْمِ بِالْمَقْصُودِ»، **وَالْمُرَكَّبُ**: هُوَ «تَصَوُّرُ الْمَعْلُومِ عَلَىٰ خِلافِ هَيْئَتِهِ»، **فَالْمُرَكَّبُ**: يَجْهَلُ صَاحِبُهُ أَنَّهُ جَاهِلٌ، فَفِيهِ نَوْعُ غُرُورٍ، **وَالْبَسِيطُ**: يَعْلَمُ صَاحِبُهُ أَنَّهُ جَاهِلٌ، فَفِيهِ نَوْعُ تَوَاضُعٍ.

(فَائِدَةٌ) أَلَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي اصْطِلاحَاتِ الْعُلُومِ، وَمِنْهَا: (التَّعْرِيفَاتُ) لِلْجُرْجَانِيّ، وَ(التَّوْقِيفُ فِي مُهِمَّاتِ التَّعَارِيفِ) لِلْمُنَاوِيّ، وَ(الْكُلِّيَّاتُ) لأَبِي الْبَقَاءِ الْكَفَوِيّ، وَ(كَشَّافُ اصْطِلاحَاتِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ) لِلتَّهَانَوِيّ، وَهَذِهِ الأَرْبَعَةُ لا غِنَىً عَنْهَا لأَيِّ طَالِبٍ وَبَاحِثٍ وَمُثَقَّفٍ بَلْ وَعَاقِلٍ، وَمِنَ الْمَعَاجِمِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُفِيدَةِ فِي بَابِنَا هَذَا: (الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ) لِلْفَيُّومِي، وَ(الْمُعْجَمُ الْوَجِيزُ) وَ(الْوَسِيطُ) لِمَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، وَ(مُعْجَمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ) لِلدُّكْتُورِ أَحْمَد مُخْتَار عُمَر وَآخَرُونَ، وَالثَّلاثَةُ الأُخَارَىٰ جَمَعَتْ بَيْنَ الأَلْفَاظِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ، وَبَيْنَ اللُّغَوِيّ وَالاصْطِلاحِيّ، بِشَكْلٍ دَقِيقٍ وَمُوَسَّعٍ فَهِيَ مُفِيدَةٌ فِي بَابِهَا، وَلا يَخْفَىٰ عَلَىٰ الْمُطَّلِعِ أَنَّ كُلَّ كِتَابٍ لَهُ فَوَائِدُهُ، وَنَفَسُهُ الْعِلْمِيُّ، وَرُوحُ مُؤَلِّفِهِ.

(٢) حَقَائِقُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ

قَالَ أَهْلُ الْحَقِّ: «**لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ**»، وَ«**حَقَائِقُ الأَشْيَاءِ ثَابِتَةٌ**»؛ فَيُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ الْعَاقِلِ السَّلِيمِ الْحَوَاسِّ أَنْ يُدْرِكَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ تَصَوُّرًا وَتَصْدِيقًا بِمَصَادِرِهَا وَحُجَّتِهَا وَبُرْهَانِهَا، خِلافًا لِلسُّوفُسْطَائِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الذينَ يَقُولُونَ: بِأَنَّ حَقَائِقَ الأَشْيَاءِ أَوْهَامٌ وَخَيَالاتٌ بَاطِلَةٌ **وَهُمُ الْعِنَادِيَّةُ**، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ ثُبُوتَهَا وَيَزْعُمُ أَنَّهَا نِسْبِيَّةٌ تَخْتَلِفُ حَقَائِقُهَا عَلَىٰ حَسَبِ اعْتِقَادِ الشَّخْصِ، فَلِكُلِّ شَخْصٍ اعْتِقَادُهُ **وَهُمُ الْعِنْدِيَّةُ**، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِالشَّكِّ الْمُطْلَقِ لِحَقَائِقِ الأَشْيَاءِ **وَهُمُ اللاأَدْرِيَّةُ**، وَبِقَوْلِ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنَ السُّوفُسْطَائِيَّةِ، وَبِغَيْرِهَا، وَبِتَدَاخُلِ هَذِهِ الأَقْوَالِ يَقُولُ **فَلاسِفَةٌ مُعَاصِرُونَ**، وَتَبِعَهُمْ كَثِيرُونَ، وَالْقَاسِمُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَهُمْ هُوَ: «إِنْكَارُ حَقَائِقِ الأَشْيَاءِ»، **وَخَاصَّةً**: فِي عِلْمِ الدِّينِ، وَ(مَاوَرَاءَ الطَّبِيعَةِ=الْمِيتَافِيزِيقَا)، وَالأَخْلاقِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ**﴾[يُونُس: ٣٢].

(٣) مَحَالُّ الْحَقَائِقِ

الْمَحَالُّ: جَمْعُ مَحَلٍّ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ أَوِ الْمَكَانُ، **وَمَوْضِعُ الْحَقِيقَةِ قَدْ يَكُونُ**:

(١) (**فِي دَاخِلِ الذِّهْنِ وَخَارِجِهِ**) وَهِيَ «**الْمَوْجُودَاتُ**»، وَيُمْكِنُ أَنْ نَرَاهَا بِأَعْيُنِنَا، وَهِيَ: إِمَّا قَدِيمَةٌ كَذَاتِ مَوْلانَا ﷻ، أَوْ حَادِثَةٌ كَالأَهْرَامَاتِ، فَالْهَرَمُ مَثَلاً: لَهُ وُجُودٌ فِي أَذْهَانِنَا، وَلَهُ وُجُودٌ فِي خَارِجِ أَذْهَانِنَا، بِحَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ نَرَاهُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ وَنُبْصِرُهُ بِأَعْيُنِنَا، وَاللهُ ﷻ يُمْكِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ رُؤْيَتُهُ فِي الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَىٰ تَفْصِيلٍ يُبْحَثُ فِي كُتُبِ الْعَقَائِدِ.

(٢) (**أَوْ لا فِي دَاخِلِ الذِّهْنِ وَلا فِي خَارِجِهِ**) وَهِيَ «**الْمَعْدُومَاتُ**»، كَشَرِيكِ الْبَارِي، فَهَذَا لا وُجُودَ لَهُ فِي ذِهْنِ الإِنْسَانِ، وَإِنْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ أَقُولَ فِي ذِهْنِي: (شَرِيكُ الْبَارِي يَسْتَحِيلُ وُجُودُهُ، أَيْ: هُوَ مَعْدُومٌ)، وَلا وُجُودَ لِهَذَا الْمَعْدُومِ فِي خَارِجِ الذِّهْنِ، وَبِالتَّالِي لا يُمْكِنُ رُؤْيَتُهُ بِأَعْيُنِنَا؛ لأَنَّهُ مَعْدُومٌ، وَكَاجْتِمَاعِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ فِي جِسْمٍ وَاحِدٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فَلا نَسْتَطِيعُ تَصَوُّرَ جِسْمٍ سَاكِنٍ وَمُتَحَرِّكٍ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ فِي أَذْهَانِنَا، وَبِالتَّالِي لا نَرَاهُ فِي خَارِجِ الذِّهْنِ، وَكَذا سَائِرُ الْمُحَالاتِ وَالتَّنَاقُضَاتِ؛ لأَنَّهَا مَعْدُومَةٌ، وَسَيَأْتِي مَعْنَىٰ الْمُحَالِ وَالتَّنَاقُضِ.

(٣) (**أَوْ فِي دَاخِلِ الذِّهْنِ فَقَطْ**) وَهِيَ «**الأُمُورُ الاعْتِبَارِيَّةُ**»، وَلا يُمْكِنُ رُؤْيَتُهَا، فَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ لَهَا وُجُودٌ فِي ذِهْنِ الإِنْسَانِ، وَلا وُجُودَ لَهَا فِي خَارِجِهِ، كَالْمِلْكِيَّةِ، وَالزَّوَاجِ، وَالشَّخْصِيَّةِ الاعْتِبَارِيَّةِ فِي الْفِقْهِ وَالْقَانُونِ، وَغَالِبِ الْمُصْطَلَحَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْقَانُونِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ: وَخَاصَّةً فِي الْعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، فَلا نَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ «الشَّخْصِيَّةِ الاعْتِبَارِيَّةِ» مَثَلاً بِأَعْيُنِنَا، فَهِيَ لا وُجُودَ لَهَا فِي خَارِجِ الذِّهْنِ، وَوُجُودُهَا إِنَّمَا هُوَ مُتَحَقِّقٌ فِي دَاخِلِ الذِّهْنِ فَقَطْ، وَعَدَمُ وُجُودِهَا فِي الْخَارِجِ لا يَعْنِي كَوْنَهَا مَعْدُومَةً كَمَا فِي الْقِسْمِ الثَّانِي، بَلْ هِيَ عِلاقَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وُجُودِيَّيْنِ، وَهَذِهِ الْعِلاقَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ لا تَكُونُ مَوْجُودَةً إِلا

فِي ذِهْنِ الإنْسَانِ، فَـ«**الزَّوَاجُ**» -مَثَلاً-: (هُوَ عِلاقَةٌ بِيْنَ طَرَفَيْنِ فِي إِطَارِ الشَّرْعِ وَالْقَانُونِ)، وَ«**الزِّنَا**»: (عِلاقَةٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ خَارِجَ إِطَارِ الشَّرْعِ وَالْقَانُونِ)، فَالأَمْرُ الْحِسِّيُّ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ: وَهُوَ الْجِمَاعُ، فِي الزَّوَاجِ وَخَارِجِهِ وَاحِدٌ لا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَلَكِنَّ الأَوَّلَ يُوْصَفُ فِي الذِّهْنِ بِأَنَّهُ «**زَوَاجٌ**»، وَالآخَرُ يُوْصَفُ فِي الذِّهْنِ بِأَنَّهُ «**زِنًا**»، وَكَوْنُ الأَمْرِ مُعْتَبَرًا أَوْ غَيْرَ مُعْتَبَرٍ يَكُونُ بِالْعَقْلِ أَوْ وَضْعِ الشَّرْعِ أَوِ وضع الْبَشَرِ.

(٤) (**وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ مُمْتَنِعٌ**) وَهُوَ الذي فِي خَارِجِ الذِّهْنِ فَقَطْ؛ بِأَنْ يَرَىٰ شَيْئًا وَلا يَتَصَوَّرُهُ فِي ذِهْنِهِ، مَعَ سَلامَةِ الْعَقْلِ وَالْحِسِّ.

(٤) أَرْكَانُ عَمَلِيَّةِ الاسْتِدْلالِ

وَ«الْمَصْدَرُ»، أَوِ: «الْمُرْشِدُ لِلْمَطْلُوبِ»، أَوْ: «مَا يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ بِصَحِيحِ النَّظَرِ فِيهِ إِلَىٰ مَطْلُوبٍ خَبَرِيٍّ» يُسَمَّى: **دَلِيلاً**، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ: «الْحُجَّةُ»، وَ«الْبُرْهَانُ»، وَ«الْبَيَانُ»، وَ«السُّلْطَانُ».

وَ«الْمُسْتَخدِمُ لِهَذِهِ الْمَصَادِرِ مِمَّنْ تَوَافَرَتْ فِيهِ الشُّرُوطُ الْمُعْتَبَرَةُ: مِنْ سَلامَةِ الْعَقْلِ، وَسَلامَةِ الآلاتِ الْحِسِّيَّةِ، وَالتَّأْهِيلِ الْعِلْمِيّ» يُسَمَّى: **مُسْتَدِلاً**.

وَسَلامَةُ الْعَقْلِ: تَكُونُ بِانْعِدَامِ الْجُنُونِ، وَكَذَا انْعِدَامُ الْمَرَضِ النَّفْسِيّ الْمُؤَثِّرِ فِي سَلامَةِ التَّفْكِيرِ.

وَالْمَقْصُودُ بِسَلامَةِ الآلاتِ الْحِسِّيَّةِ: سَلامَةُ الْعَيْنِ أَوِ الأُذُنِ عِنْدَ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ أَوِ النَّقْلِيِّ، وَسَلامَةُ الْحَوَاسِّ كُلِّهَا أَوْ بَعْضِهَا عِنْدَ الْبَحْثِ عَنِ الْحِسِّيَّاتِ وَكَانَتِ التَّجْرِبَةُ أَوِ الْعَادَةُ تَسْتَلْزِمُ آلَةً مُعَيَّنَةً، وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ وَالْحِسّ.

وَالأَهْلِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ: تَكُونُ بِحَسَبِ الْمُرَادِ الْوُصُولُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقَائِقِ، فَإِنْ كَانَ يَسِيرًا وَبَسِيطًا (مِنَ الْبَسَاطَةِ لا مِنَ الْبَسْطِ) كَانَتِ الأَهْلِيَّةُ كَذَلِكَ، أَوْ مُرَكَّبًا احْتَاجَ إِلَىٰ دَرَجَةٍ أَعْلَىٰ مِنَ الأَهْلِيَّةِ؛ فَالاسْتِدْلالُ عَلَىٰ «وُجُودِ اللهِ» بِالدَّلِيلِ الإِجْمَالِيِّ يَسْتَطِيعُهُ كُلُّ النَّاسِ بِاخْتِلافِ دَرَجَاتِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ حَتَّىٰ الأُمِّيّ الذي لا يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ، بِخِلافِ الاسْتِدْلالِ عَلَى: «بُطْلانِ الْقَوْلِ بِالتَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيَّيْنِ»، أَوِ: «الْجَوَازِ الْعَقْلِيِّ مَعَ الاسْتِحَالَةِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَىٰ تَعْذِيبِ اللهِ لِلْمُطِيعِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَإِثَابَةِ الْعَاصِي عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ»؛ فَمِثْلُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ تَحْتَاجُ إِلَىٰ تَأَهُّلٍ عِلْمِيٍّ أَعْلَىٰ مِنَ الأَوَّلِ وَأَكْثَرَ تَرْكِيبًا، وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ خُطْوَةٌ فِي هَذَا التَّأْهِيلِ الْعِلْمِيّ الْمُرَكَّبِ.

وَ«طَرِيقَةُ اسْتِخْرَاجِ الْحَقِيقَةِ مِنَ الدَّلِيلِ بِقَوَاعِدِهَا مِنَ النَّظَرِ الصَّحِيحِ» تُسَمَّىٰ: (**اسْتِدْلالاً**)، وَ«الْمُقَدِّمَاتُ التي يَسْتَخْدِمُهَا الْمُسْتَدِلُّ لِلْوُصُولِ لِلْحَقَائِقِ» تُسَمَّىٰ: (**قَوَاعِدَ الاسْتِدْلالِ**)، فَـ«إِنْ كَانَتْ بِشَكْلٍ صَحِيحٍ» تُسَمَّىٰ: (**نَظَرًا صَحِيحًا**)، وَ«إِنْ كَانَتْ بِشَكْلٍ غَيْرِ صَحِيحٍ» تُسَمَّىٰ: (**نَظَرًا فَاسِدًا**)، وَقَوَاعِدُ الصِّحَّةِ وَالْفَسَادِ فِي الاسْتِدْلالِ تُعْرَفُ مِنْ عِلْمِ الْمَنْطِقِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ.

هَذِهِ هِيَ أَرْكَانُ عَمَلِيَّةِ الاسْتِدْلالِ: (**الدَّلِيلُ، وَالاسْتِدْلالُ، وَقَوَاعِدُ الاسْتِدْلالِ، وَالْمُسْتَدِلُّ**)، وَلِكُلِّ عِلْمٍ: دَلِيلُهُ، وَاسْتِدْلالُهُ، وَقَوَاعِدُهُ، وَمُسْتَدِلُّهُ.

(التَّقْلِيدُ وَالنَّظَرُ)

وَ«الْوُصُولُ لِلْحَقَائِقِ عَنْ طَرِيقِ الْغَيْرِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ» يُسَمَّىٰ: (**تَقْلِيدًا**)، وَهِيَ دَرَجَةٌ قَاصِرَةٌ، وَأَعْلَىٰ مِنْهَا «**النَّظَرُ الصَّحِيحُ، وَالاسْتِدْلالُ**»؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذينَ يَعْلَمُونَ وَالذينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾[الزُّمَر: ٩]، وَلا يَنْفَكُّ الإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ عَنِ الدَّرَجَتَيْنِ مَعًا؛ فَهُوَ يَنْظُرُ وَيَسْتَدِلُّ فِي بَعْضِ الْعُلُومِ، وَيُقَلِّدُ فِي الْبَعْضِ الآخَرِ، وَهَذِهِ قِسْمَةُ اللهِ ﷻ فِي خَلْقِهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[الزُّخْرُف: ٣٢]، وَلَكِنْ يَلْزَمُهُ بِشَرْطِهِ «**النَّظَرُ**» فِي عَقَائِدِهِ عَنِ الإِلَـهِيَّاتِ، وَالنُّبُوَّاتِ، وَالْغَيْبِيَّاتِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلا اللهُ**﴾[مُحَمَّد: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[البَقَرَة: ١١١].

(**مَسْأَلَةٌ**) إِنِ اعْتَقَدَ الاعْتِقَادَ الصَّحِيحَ الْجَازِمَ لِأُصُولِ دِينِ الإِسْلامِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَلَوْ إِجْمَالِيًّا صَحَّ إِيمَانُهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، لَكِنَّهُ آثِمٌ وَمُعَاقَبٌ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ الإِلَـهِيَّةِ إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ إِقَامَةِ هَذَا الدَّلِيلِ وَلَمْ يَفْعَلْ، وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ لا عَقْلِيٌّ، وَتُبْحَثُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي كُتُبِ الْعَقَائِدِ.

(لا كَهَنُوتَ فِي الْعِلْمِ: بَلْ إِمَّا نَظَرٌ أَوْ تَقْلِيدٌ)

فَفِي (**عِلْمِ الطِّبِّ**) هُنَاكَ الْمُتَخَصِّصُ الذي يَعْرِفُ قَوَاعِدَ الْعِلْمِ وَأُصُولَهُ، وَيُمَارِسُ هَذَا الْعِلْمَ (**وَيَنْظُرُ فِيهِ**) فِي إِطَارِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالأُصُولِ، بَعْدَ تَمَكُّنِهِ مِنَ (**الأَهْلِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ**)، وَكُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ نَظَرِ (**الْبِيئَةِ الْعِلْمِيَّةِ**) الْمُتَخَصِّصَةِ التي تُوَجِّهُ وَتُرْشِدُ وَتُصَوِّبُ وَتُخَطِّئُ، وَهُنَاكَ الْمَرِيضُ غَيْرُ الْمُتَخَصِّصِ فِي عِلْمِ الطِّبِّ، وَقَدْ يَكُونُ مُتَخَصِّصًا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ، والذي يَلْجَأُ إِلَىٰ الطَبِيبِ الْمُتَخَصِّصِ وَ(**يُقَلِّدُهُ**) فِيمَا يُخْبِرُهُ مِنْ تَشْخِيصٍ وَعِلاجٍ وَمُتَابَعَةٍ لِلْحَالَةِ الْمَرَضِيَّةِ، وَلَيْسَتْ لِهَذَا الْمَرِيضِ (**الأَهْلِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ**) لِكَيْ (**يَنْظُرَ**) بِنَفْسِهِ فِي قَوَاعِدِ وَأُصُولِ الطِّبِّ لِكَيْ يُمَارِسَ هَذِهِ (**الْمِهْنَةَ الْعِلْمِيَّةَ**) الْمُتَخَصِّصَةَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ (**كَهَنُوتٌ**) فِي (**عِلْمِ الطِّبِّ**)، بَلْ قَوَاعِدُ وَأُصُولٌ عِلْمِيَّةٌ ضَابِطَةٌ، وَ(**بِيئَةٌ عِلْمِيَّةٌ**) مُرَاقِبَةٌ مُوَجِّهَةٌ مُرْشِدَةٌ حَاكِمَةٌ.

وَكَذَلِكَ الْعَالِمُ الْمُتَخَصِّصُ فِي (**الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ**) الذي يَعْرِفُ قَوَاعِدَ الْعِلْمِ وَأُصُولَهُ، وَيُمَارِسُ هَذَا الْعِلْمَ (**وَيَنْظُرُ فِيهِ**) فِي إِطَارِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالأُصُولِ، بَعْدَ تَمَكُّنِهِ مِنَ (**الأَهْلِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ**)، وَكُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ نَظَرِ (**الْبِيئَةِ الْعِلْمِيَّةِ**) الْمُتَخَصِّصَةِ التي تُوَجِّهُ وَتُرْشِدُ وَتُصَوِّبُ وَتُخَطِّئُ، وَهُنَاكَ غَيْرُ الْمُتَخَصِّصِ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ مُتَخَصِّصًا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ، وَالذي يَلْجَأُ إِلَىٰ الْعَالِمِ الْمُتَخَصِّصِ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَ(**يُقَلِّدُهُ**) فِيمَا يُفْتِيهِ وَيُعَلِّمُهُ مِنْ أَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ،

وَلَيْسَتْ لِهَذَا الْمُقَلِّدِ (**الأَهْلِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ**) لِكَيْ (**يَنْظُرَ**) بِنَفْسِهِ فِي قَوَاعِدِ وَأُصُولِ (**عُلُومِ الشَّرْعِ**) لِكَيْ يُمَارِسَ هَذِهِ (**الْمِهْنَةَ الْعِلْمِيَّةَ**) الْمُتَخَصِّصَةَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ (**كَهَنُوتٌ**) فِي (**عُلُومِ الشَّرْعِ**)، بَلْ قَوَاعِدُ وَأُصُولٌ عِلْمِيَّةٌ ضَابِطَةٌ، وَ(**بِيئَةٌ عِلْمِيَّةٌ**) مُرَاقِبَةٌ مُوَجِّهَةٌ مُرْشِدَةٌ حَاكِمَةٌ.

وَهَكَذَا فِي كُلِّ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ....

(التَّقْلِيدُ الأَعْمَىٰ وَالْمُسْتَبْصِرُ)

وَفِي إِطَارِ (**الأَهْلِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ**)، وَ(**الْمُؤَسَّسَةِ الْعِلْمِيَّةِ**) الْمُخَرِّجَةِ لِهَذِهِ الأَهْلِيَّةِ، وَ(**الْبِيئَةِ الْعِلْمِيَّةِ**) الْحَاكِمَةِ لِهَذِهِ الأَهْلِيَّةِ وَالتِي تَقُومُ عَلَىٰ تَوْعِيَةِ (**غَيْرِ الْمُتَخَصِّصِ: الْمُقَلِّدِ**) بِقَوَاعِدَ عَامَّةٍ لِضَبْطِ عَمَلِيَّةِ التَّلَقِّي وَالتَّفَاعُلِ بَيْنَ (**الْمُتَخَصِّصِ**) وَ(**غَيْرِ الْمُتَخَصِّصِ**): لَيْسَ هُنَاكَ مَجَالٌ لِـ(**التَّقْلِيدِ الأَعْمَىٰ**)، بَلْ هُوَ (**تَقْلِيدٌ مُسْتَبْصِرٌ**) وَاعٍ عَالٍ مِنَ الإِدْرَاكِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ (**الأَصِيلِ فِي الْعِلْمِ**) وَ(**الدَّخِيلِ عَلَىٰ الْعِلْمِ**)، وَأَنَّ هُنَاكَ أُسُسًا عِلْمِيَّةً وَاضِحَةً لاخْتِيَارِ مَنْ يُلْجَأُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُتَخَصِّصِينَ، وَلا عِلاقَةَ لِغَيْرِ الْمُتَخَصِّصِ بِتَفَاصِيلِ الْعِلْمِ، وَبِهَذَا يُصْبِحُ التَّلاقِي وَالتَّفَاعُلُ الْعِلْمِيُّ بَيْنَ الْمُتَخَصِّصِ وَغَيْرِهِ فِي حَالَةٍ حَضَارِيَّةٍ صِحِّيَّةٍ وَاعِيَةٍ.

(٥) مَصَادِرُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ

وَمَصَادِرُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ لِلإِنْسَانِ اسْتِقْرَاءً ثَلاثَةٌ: الْعَقْلُ، وَالْحَوَاسُّ السَّلِيمَةُ، وَالْخَبَرُ الصَّادِقُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[النَّحل: ٧٨]:

(١) **فَالْحَوَاسُّ**: ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ.

- **فَالظَّاهِرَةُ خَمْسٌ**: السَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالشَّمُّ، وَاللَّمْسُ، وَالتَّذَوُّقُ؛ وَهِيَ قُوًى فِي دَاخِلِ الإِنْسَانِ، وَالْعِلْمُ بِالْحِسِّ يُسَمَّىٰ «**الْعِلْمَ الْحِسِّيَّ**»، سَوَاءٌ كَانَ الْمُدْرِكُ هِيَ الآلاتِ أَوِ النَّفْسَ بِوَاسِطَةِ الآلاتِ عَلَىٰ خِلافٍ، فَالسَّمْعُ لِلْمَسْمُوعَاتِ: وَأَدَاتُهُ الأُذُنُ، وَالْبَصَرُ لِلْمَرْئِيَّاتِ: وَأَدَاتُهُ الْعَيْنُ، وَالشَّمُّ لِلْمَشْمُومَاتِ: وَأَدَاتُهُ الأَنْفُ، وَاللَّمْسُ لِلْمُلْمُوسَاتِ: وَأَدَاتُهُ بَدَنُ الإِنْسَانِ، وَإِحْسَاسُ كُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ بِحَسَبِهِ، وَالتَّذَوُّقُ لِلْمَطْعُومَاتِ: وَأَدَاتُهُ اللِّسَانُ بِضَمِيمَةِ الأَنْفِ.

وَالْعَقْلُ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الإِدْرَاكِ بِالتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَحْسُوسَاتِ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ؛ فَرُؤْيَةُ انْكِسَارِ الْقَلَمِ بِالْمُشَاهَدَةِ بِالْعَيْنِ بَعْدَ إِدْخَالِهَا فِي كُوبِ الْمَاءِ مِثَالٌ ظَاهِرٌ لأَهَمِّيَةِ الْعَقْلِ فِي ضَبْطِ الْمَحْسُوسَاتِ وَالْمُشَاهَدَاتِ، وَعَدَمُ التَّسْلِيمِ الْمُطْلَقِ لَهُمَا، بَلِ الْعَقْلُ حَاكِمٌ فِي ذَلِكَ، **وَكَذَلِكَ**: الْمَجْنُونُ وَالْمَرِيضُ

النَّفْسِيُّ الْمُعْتَلُّ فِي عَقْلِهِ فَإِنَّ إِدْرَاكَاتِهُمَا مُضْطَرِبَةٌ مُخْتَلَّةٌ، وَمَنْ فَقَدَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأَدَوَاتِ فَقَدَ الإِحْسَاسَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ مَحْسُوسٍ.

- **وَالْبَاطِنَةُ**: كَإِحْسَاسِ النَّفْسِ بِجُوعٍ وَنَحْوِهِ، وَالْعِلْمُ بِهِ يُسَمَّىٰ: «**الْعِلْمَ الْوِجْدَانِيَّ**».

(٢) **وَالْخَبَرُ**: «قَوْلٌ يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ أو الْكَذِبَ لِذَاتِهِ»، وَصِدْقُهُ: «مُطَابَقَتُهُ لِلْوَاقِعِ»، وَكَذِبُهُ: «عَدَمُ مُطَابَقَتِهِ لِلْوَاقِعِ»، وَلَيْسَ هُنَاكَ وَسَطٌ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ عَلَىٰ الصَّحِيحِ، فَالْقَوْلُ: إِمَّا صَادِقٌ وَإِمَّا كَاذِبٌ، أَيْ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ، أَوْ غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ، خِلافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ، وَ«**الْخَبَرُ الصَّادِقُ**» يَنْقَسِمُ إِلَىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

- **الْقِسْمُ الأَوَّلُ**: الْخَبَرُ الْمُتَوَاتِرُ، وَهوَ الْخَبَرُ الثَّابِتُ علىٰ أَلْسِنَةِ قَوْمٍ كَثِيرِينَ، عَنْ مِثْلِهِمْ إِلَىٰ مُنْتَهَاهُ، وَلا يُتَصَوَّرُ فِي الْعَادَةِ تَوَاطُؤُهُم عَلَىٰ الْكَذِبِ، وَيَكُونُ مُسْتَنَدُهُمْ الْحِسَّ لا الرَّأْيَ، وَهوَ مُوجِبٌ لِلْعِلْمِ الْقَطْعِيِّ **ثُبُوتًا**، كَالْعِلْمِ بِقِيَامِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الأُولَىٰ وَالثَّانِيَةِ، وَالْعِلْمِ بِوُجُودِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَبِكِينَ وَوَاشِنْطُنَ، وَكَالْعِلْمِ بِأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَالْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَرَاءَاتِهِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَالأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ مِنْ أَحَادِيثِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ وَصَلَتْ دَعْوَىٰ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ، وَهذِهِ الأَحَادِيثُ إِلَيْنَا، وَهَكَذَا إِلَىٰ مَنْ بَعْدَنَا، وَإِفَادَتُهُ لِلْعِلْمِ الْقَطْعِيِّ أَوِ الظَّنِّيِّ **دِلالَةً** بِحَسَبِ ظُهُورِ مَعْنَاهُ وَخَفَائِهِ.

- **وَالْقِسْمُ الثَّانِي**: الْخَبَرُ الظَّنِّيُّ، وَهُوَ مَا نَقَلَهُ الآحَادُ، عَنْ مِثْلِهِمْ إِلَىٰ مُنْتَهَاهُ، وَلَمْ يَبْلُغُوا حَدَّ التَّوَاتُرِ، مَعَ الْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ فِي النَّقْلِ، وَانْعِدَامِ مَا يَقْدَحُ فِي صِحَّةِ النَّقْلِ عَقْلاً أَوْ شَرْعًا أَوْ عَادَةً، كَالأَخْبَارِ الظَّنِّيَّةِ مِنْ أَحَادِيثِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، وهي تُفِيدُ الْعِلْمَ الظَّنِّيَّ **ثُبُوتًا**، وَقَدْ يُفِيدُ ثُبُوتَ الْعِلْمِ الْقَطْعِيَّ بِاحْتِفَافِ الْقَرَائِنِ بِهَا كَأَخْبَارِ الصَّحِيحَيْنِ (الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ) حَيْثُ اتَّفَقَتِ الأُمَّةُ عَلَىٰ قَبُولِهَا، أَوْ قَدْ يُفِيدُ الْقَطْعَ بِهَا عِنْدَ أَهْلِهَا مِنَ الْمُحَدِّثِينَ؛ لِكَثْرَةِ مُمَارَسَتِهِمْ لِهَذَا الْعِلْمِ، وَإِفَادَتُهُ لِلْعِلْمِ الْقَطْعِيِّ أَوِ الظَّنِّيِّ **دِلالَةً** بِحَسَبِ ظُهُورِ مَعْنَاهُ وَخَفَائِهِ.

- **وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ**: خَبَرُ الْمَوْلَىٰ ﷻ لِرُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَنْ طَرِيقِ سَيِّدِنَا جِبْرِيلَ ﵇، وَلا يَحْصُلُ إِلا لِلأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ اصْطِفَاءً وَاجْتِبَاءً، وَيُعْرَفُ صِدْقُهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ بِدَلِيلِ الْمُعْجِزَةِ، وهذا الْخَبَرُ يُسَمَّىٰ: «**الْوَحْيَ**»، وَالْمُوْحَىٰ إِلَيْهِ يُسَمَّىٰ: «**الرَّسُولَ أَوِ النَّبِيَّ**»، وَالنَّاقِلُ لِهَذَا الْخَبَرِ مِنَ الْمَوْلَىٰ ﷻ إِلَىٰ الرَّسُولِ يُسَمَّىٰ: «**أَمِينَ الْوَحْيِ**»، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝**

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[الشعراء: ١٩١-١٩٥]، وَهَذَا الْخَبَرُ يُفِيدُ الْعِلْمَ الْقَطِعِيَّ الضَّرُورِيَّ لأَصْحَابِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَيُبْحَثُ فِي بَابِ النُّبُوَّاتِ مِنْ كُتُبِ الْعَقَائِدِ.

(قَاعِدَةٌ) الدِّينُ الإِسْلامِيُّ أَصْلُهُ «**مَعْقُولٌ**»، وَهُوَ: أُصُولُ الإِيمَانِ، ثُمَّ كُلُّهُ «**مَنْقُولٌ**» بِالْخَبَرِ، وَهُوَ فُرُوعُ التَّوْحِيدِ، وَالشَّرِيعَةُ كُلُّهَا، وَالْغَيْبِيَّاتُ كُلُّهَا.

(٣) وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَهُوَ «قُوَّةٌ فِي الإِنْسَانِ بِهِ تُدْرِكُ النَّفْسُ الْعُلُومَ الضَّرُورِيَّةَ وَالنَّظَرِيَّةَ»، فَالْعَقْلُ آلَةٌ فِي الإِدْرَاكِ كَسَائِرِ الْقُوَىٰ، وَالْمُدْرِكُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ النَّفْسُ، وَنِسْبَةُ الإِدْرَاكِ إِلَىٰ قُوَاهَا كَنِسْبَةِ الْقَطْعِ إِلَىٰ السِّكِّينِ مَعَ أَنَّ الْقَاطِعَ هُوَ الإِنْسَانُ، **وَمَحَلُّ الْعَقْلِ**: الْقَلْبُ، وَقِيلَ: غَيْرُ ذَلِكَ، وَقِيلَ: بِالتَّوَقُّفِ، **وَابْتِدَاؤُهُ**: مِنْ حِينِ نَفْخِ الرُّوحِ فِي الْجَنِينِ، **وَأَوَّلُ كَمَالِهِ**: الْبُلُوغُ، وَبِهِ يَحْصُلُ التَّكْلِيفُ الشَّرْعِيُّ، **وَتَمَامُهُ**: عِنْدَ سِنِّ الأَرْبَعِينَ، وَتَتَفَاوَتُ الْقُوَّةُ الْعَقْلِيَّةُ مِنْ شَخْصٍ إِلَىٰ شَخْصٍ.

وَالْعَقْلُ مَصْدَرٌ لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمَا ثَبَتَ مِنْهُ بِالْبَدَاهَةِ فَهُوَ قَطْعِيٌّ ضَرُورِيٌّ، كَالْعِلْمِ بِأَنَّ: «الشَّيْءَ أَعْظَمُ مِنْ جُزْئِهِ»، وَبِأَنَّ: «الْوَاحِدَ نِصْفُ الاثْنَيْنِ»، وَمَا ثَبَتَ بِالنَّظَرِ فَهُوَ قَطْعِيٌّ نَظَرِيٌّ، كَالْعِلْمِ بِأَنَّ: «الْوَاحِدَ رُبُعُ خُمُسِ الْعِشْرِينَ»، وَمَا نَفَاهُ الْعَقْلُ فَهُوَ بَاطِلٌ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ: «الْوَاحِدَ أَكْثَرُ مِنَ الاثْنَيْنِ عَدَدًا».

(٦) التَّنَافِي وَالتَّضَادُّ وَالتَّنَاقُضُ الْعَقْلِيُّ

التَّنَافِي: مِنَ النَّفْيِ، وَأَنْوَاعُ التَّنَافِي عِنْدَ الْمَنَاطِقَةِ أَرْبَعَةٌ:

(١) تَنَافِي النَّقِيضَيْنِ: وَالنَّقِيضَانِ هُمَا «إِيجَابُ الشَّيْءِ وَسَلْبُهُ: فِي ذَاتٍ وَاحِدَةٍ وَوَقْتٍ وَاحِدٍ، وَهُمَا لا يَجْتَمِعَانِ وَلا يَرْتَفِعَانِ» نَحْوُ: «زَيْدٌ .. وَلا زَيْدَ»، أَوْ: «زَيْدٌ قَائِمٌ .. وَلَيْسَ بِقَائِمٍ»، **وَالتَّنَاقُضُ**: «اجْتِمَاعُ الْمُتَنَافِيَيْنِ فِي ذَاتٍ وَاحِدَةٍ وَوَقْتٍ وَاحِدٍ»، **وَالتَّنَاقُضَاتُ**: مِنْهَا ظَاهِرٌ جَلِيٌّ، وَحُكْمُ الْعَقْلِ بِبُطْلانِهَا قَطْعِيٌّ بَدَاهَةً، كَالْعِلْمِ بِـ«اسْتِحَالَةِ وُجُودِ زَيْدٍ وَعَدَمِهِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ»، وَمِنْهَا بَاطِنٌ خَفِيٌّ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَدَبُّرٍ وَتَأَمُّلٍ عَقْلِيٍّ وَهِيَ خَمْسَةٌ: «الدَّوْرُ»، وَ«التَّسَلْسُلُ»، وَ«التَّرْجِيحُ بِلا مُرَجِّحٍ»، وَ«تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ»، وَ«اجْتِمَاعُ مُؤَثِّرَيْنِ عَلَىٰ أَثَرٍ وَاحِدٍ»، وَحُكْمُ الْعَقْلِ بِبُطْلانِهَا قَطْعِيٌّ نَظَرِيٌّ.

- **وَالدَّوْرُ**: «هُوَ تَوَقُّفُ الشَّيْءِ عَلَىٰ نَفْسِهِ»، كَالادِّعَاءِ بِأَنَّ الطَّبِيعَةَ أَوْجَدَتْ نَفْسَهَا.
- **وَالتَّسَلْسُلُ**: «هُوَ تَوَقُّفُ شَيْءٍ عَلَىٰ آخَرَ إِلَىٰ مَا لا نِهَايَةَ»، كَالادِّعَاءِ بِأَنَّ الْمَادَّةَ أَوْجَدَتْهَا مَادَّةٌ قَبْلَهَا إِلَىٰ مَا لا نِهَايَةَ، أَوْ بِأَنَّ هذا الْفَرْعَ مِنْ شَجَرَةٍ جَاءَ مِنْ فَرْعٍ مِثْلِهَا إِلَىٰ مَا لا نِهَايَةَ.
- **وَالتَّرْجِيحُ بِلا مُرَجِّحٍ**: «هُوَ كَوْنُ الشَّيْئَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ مَعَ رُجْحَانِ أَحَدِهِمَا عَلَىٰ الآخَرِ بِلا مُؤَثِّرٍ خَارِجِيٍّ»، كَالادِّعَاءِ بِوُجُودِ هَذَا الْعَالَمِ صُدْفَةً بِدُونِ مُسَبِّبٍ لَهُ، مَعَ أَنَّ وُجُودَهُ وَعَدَمَهُ مُتَسَاوِيَانِ.

- **وَتَحْصِيلُ الْحَاصِلِ:** «هُوَ جَعْلُ أَمْرٍ يَحْدُثُ حَالَ كَوْنِهِ مَجْعُولاً بِالْفِعْلِ»، كَالادِّعَاءِ بِأَنَّ إِلَـهًا أَوْجَدَ هَذَا الْعَالَمَ ثُمَّ جَاءَ إِلَهٌ آخَرُ فَأَوْجَدَ هَذَا الْعَالَمَ أَيْضًا.
- **وَاجْتِمَاعُ مُؤَثِّرَيْنِ عَلَىٰ أَثَرٍ وَاحِدٍ:** «هُوَ وُجُودُ شَيْئَيْنِ مُسْتَقِلَّيْنِ بِالتَّأْثِيرِ حَالَ كَوْنِ الأَثَرِ وَاحِدًا»، كَالادِّعَاءِ بِوُجُودِ إِلَـهَيْنِ مُؤَثِّرَيْنِ مُسْتَقِلَّيْنِ خَالِقَيْنِ مَعًا لِهَذَا الْعَالَمِ الْوَاحِدِ.

(قَاعِدَةٌ) وَالْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ هُنَا فِي مَبْحَثِ الْعَقْلِ: «**التَّنَاقُضُ اجْتِمَاعًا وَارْتِفَاعًا بَاطِلٌ عَقْلاً: ضَرُورَةً أَوْ نَظَرًا**».

(٢) تَنَافِي الضِّدَّيْنِ: وَالضِّدَّانِ: «هُمَا أَمْرَانِ وُجُودِيَّانِ بَيْنَهُمَا غَايَةُ الاخْتِلافِ، لا يَجْتَمِعَانِ وَقَدْ يَرْتَفِعَانِ»، نَحْوَ: الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ لا يَجْتَمِعَانِ فِي نُقْطَةٍ وَاحِدَةٍ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَدْ يَرْتَفِعَانِ بِأَنْ تَكُونَ حَمْرَاءَ مَثَلاً.

(قَاعِدَةٌ) وَالْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ هُنَا فِي مَبْحَثِ الْعَقْلِ: «**التَّضَادُ اجْتِمَاعًا بَاطِلٌ عَقْلاً: ضَرُورَةً أَوْ نَظَرًا**».

(فَائِدَةٌ) الضِّدُّ فِي اللُّغَةِ يُطْلَقُ عَلَىٰ مُطْلَقِ التَّنَافِي فَيَدْخُلُ فِيهِ الْمُتَنَافِيَاتُ كُلُّهَا.

(٣) تَنَافِي الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ: وَالْعَدَمُ وَالْمَلَكَةُ هُمَا: «وُجُودُ الشَّيْءِ وَعَدَمُهُ عَمَّا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ كَالْبَصَرِ وَالْعَمَىٰ، وَهُمَا لا يَجْتَمِعَانِ وَلا يَرْتَفِعَانِ»، فَالْبَصَرُ: وُجُودِيٌّ وَهُوَ الْمَلَكَةُ، وَالْعَمَىٰ: عَدَمِيٌّ؛ إِذِ الْعَمَىٰ عَدَمُ الْبَصَرِ عَمَّا مِنْ شَأْنِهِ الاتِّصَافُ بِهِمَا، كَالإِنْسَانِ: فَيَجِبُ اتِّصَافُهُ بِأَحَدِهِمَا، بِخِلافِ الْحَائِطِ: فَلا يُوْصَفُ بِالْبَصَرِ وَلا الْعَمَىٰ، فَلا تَنَافٍ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ الاتِّصَافُ بِهِمَا.

(قَاعِدَةٌ) وَالْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ هُنَا فِي مَبْحَثِ الْعَقْلِ: «**تَنَافِي الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ بِشَرْطِهِ بَاطِلٌ عَقْلاً: ضَرُورَةً أَوْ نَظَرًا**».

(٤) تَنَافِي الْمُتَضَايِفَيْنِ: وَالْمُتَضَايِفَانِ هُمَا: «أَمْرَانِ وُجُودِيَّانِ بَيْنَهُمَا غَايَةُ الاخْتِلافِ، وَيَتَوَقَّفُ تَعَقُّلُ أَحَدِهِمَا عَلَىٰ تَعَقُّلِ الآخَرِ»، كَالأُبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ؛ فَلا يَكُونُ (أ) ابْنًا وَأَبًا لِـ(ب)، بِخِلافِ مَا لَوْ كَانَ (أ) ابْنًا لِـ(ب) وَأَبًا لِـ(ج)، فَاجْتَمَعَتْ فِي (أ) الأُبُوَّةُ وَالْبُنُوَّةُ لا لِنَفْسِ الشَّخْصِ فَلا تَنَافٍ.

(قَاعِدَةٌ) وَالْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ هُنَا فِي مَبْحَثِ الْعَقْلِ: «**الْمُتَضَايِفَانِ إِنِ اجْتَمَعَا فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ فَهُوَ بَاطِلٌ عَقْلاً: ضَرُورَةً أَوْ نَظَرًا، بِخِلافِهِ مَا لَوِ اجْتَمَعَا فِي مَحَلٍ وَاحِدٍ مِنْ جِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ فَلا تَنَافٍ**».

(فَائِدَةٌ) الْمُتَنَافِيَاتُ أَرْبَعَةٌ عِنْدَ الْمَنَاطِقَةِ، وَعِنْدَ الأُصُولِيِّينَ اثْنَانِ فَقَطْ، وَهُمَا تَنَافِي النَّقِيضَيْنِ وَالضِّدَّيْنِ، وَيَجْعَلُونَ الْعَدَمَ وَالْمَلَكَةَ دَاخِلَيْنِ فِي النَّقِيضَيْنِ، وَالْمُتَضَايِفَيْنِ دَاخِلَيْنِ فِي الضِّدَّيْنِ.

(٧) مَصَادِرُ مُتَوَهَّمَةٌ

(مَسْأَلَةٌ) **وَالإِلْهَامُ**: «هُوَ الْمَعْنَىٰ الذي يُلْقَىٰ عَلَىٰ قَلْبِ الإِنْسَانِ بِغَيْرِ سَبَبٍ يَثْلُجُ لَهُ الصَّدْرُ»، فَإِذَا كَانَ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَالإِلْهَامُ نَوْعٌ مِنَ الْوَحْيِ لِذَلِكَ النَّبِيِّ لِعِصْمَتِهِ ﷺ، وَيَأْخُذُ حُكْمَهُ وَقَدْ سَبَقَ فِي (**خَبَرِ الْمَوْلَىٰ** ﷻ) لِرُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَنْ طَرِيقِ سَيِّدِنَا جِبْرِيلَ عليه السلام.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا فَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعْرِفَةِ بِصِحَّةِ الشَّيْءِ بِحَيْثُ يُلْزِمُ الْمُلْهَمُ -(بِفَتْحِ الْهَاءِ)- بِهِ نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهُ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ، وَمَنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ لا ثِقَةَ بِخَوَاطِرِهِ؛ لأَنَّهُ لا يَأْمَنُ مِنْ دَسِيسَةِ الشَّيْطَانِ فِيهَا، لَكِنَّهُ قَرِينَةٌ يَسْتَأْنِسُ بِهَا مَنْ صَفَتْ نَفْسُهُ وَرَقَتْ رُوحُهُ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ بِشَرْطِ عَدَمِ التَّعَارُضِ مَعَ الْعَقْلِ والشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَمُسَلَّمَاتِ الْعَادَةِ؛ فَمَثَلاً هَذَا الْمَعْنَىٰ الْمُلْقَىٰ فِي قَلْبِ الإِنْسَانِ: قَدْ يَكُونُ فَهْمًا لآيَةٍ أَوْ لِخَبَرٍ نَبَوِيٍّ، فَيَخْضَعُ لِقَوَاعِدِ الْفَهْمِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ، وَقَدْ يَكُونُ تَوْجِيهًا لِسُلُوكِ مَسْلَكٍ أُخْرَوِيٍّ أَوْ دِينِيٍّ فَيَخْضَعُ لِقَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَقَدْ يَكُونُ إِرْشَادًا لِمَسْلَكٍ دُنْيَوِيٍّ، فَيَخْضَعُ لِقَوَاعِدِ الْعَادِيَّاتِ بِحَسَبِهَا، وَقَدْ يَكُونُ انْفِعَالاً قَلْبِيًّا وَعَاطِفَةً بِالسَّلْبِ أَوِ الإِيْجَابِ تِجَاهَ ذَاتٍ أَوْ مَعْنًى، فَيَخْضَعُ لِقَوَاعِدِهِ مِنَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَالْعَادَةِ، وَيَكُونُ الْعَمَلُ بِالإِلْهَامِ هُنَا اسْتِئْنَاسًا وَتَرْجِيحًا -حَيْثُ تَسَاوَتِ الْخِيَارَاتُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ وَالْعَادِيَّةُ- بِالإِقْدَامِ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ هَذَا الإِلْهَامِ أَوِ الإِحْجَامِ عَنْهُ.

وَذَلِكَ خِلافًا لِبَعْضِ الصُّوفِيَّةِ حَيْثُ يَعْتَبِرُونَ الإِلْهَامَ مَصْدَرًا لِلْمَعْرِفَةِ بِصِحَّةِ الشَّيْءِ، وَقَالَ الْبَعْضُ: الإِلْهَامُ سَبَبٌ وَإِنْ خَالَفَ الشَّرْعَ وَهَذَا بَاطِلٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: بِرَفْعِ رِبْقَةِ التَّكْلِيفِ بِهَذَا الإِلْهَامِ، وَهَذَا الأَخِيرُ فِيهِ خُرُوجٌ مِنَ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ اتِّفَاقًا.

(مَسْأَلَةٌ) **وَالْحَدْسُ وَالتَّخْمِينُ**: لَيْسَا مِنْ مَصَادِرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ خِلافًا لِبَعضِ الْمَنَاهِجِ الْغَرْبِيَّةِ.

(مَسْأَلَةٌ) **الْمِزَاجُ، وَالْمَيْلُ النَّفْسِيُّ، وَالأَهْوَاءُ**: لَيْسَتْ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعْرِفَةِ بِصِحَّةِ الشَّيْءِ، بَلْ هِيَ مَشَاعِرُ وَعَوَاطِفُ وَكَيْفِيَّاتٌ نَفْسِيَّةٌ: قَدْ تُصِيبُ وَقَدْ تَخْطِئُ، خِلافًا لِبَعْضِ الْمَنَاهِجِ الْغَرْبِيَّةِ، وَخِلافًا لِمَا اشْتُهِرَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَحَافِلِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ: أَنَّ تِلْكَ الأَشْيَاءَ مَعَايِيرُ وَمَقَايِيسُ تُقْبَلُ وَتُرْفَضُ بِهَا الْحَقَائِقُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[الْقَصَص: ٥٠]، وَقَالَ سَيِّدُنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»[رَوَاهُ أَبُو الْفَتْحِ الْمَقْدِسِيُّ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الأَرْبَعِينَ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ: بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ]، فَالأَصْلُ مُتَابَعَةُ الْهَوَىٰ لِلرِّسَالَةِ، وَالْعَكْسُ بَاطِلٌ مُفْسِدٌ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعًا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**﴾[الْمُؤْمِنُون: ٧١].

(٨) قَوَاعِدُ كُلِّ مَصْدَرٍ مِنْ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ (مَنَاهِجُ الْعُلُومِ)

وَلِكُلِّ مَصْدَرٍ طَرِيقَتُهُ فِي الاسْتِدْلالِ، وَتُعْرَفُ مِنْ مَنَاهِجِ كُلِّ عِلْمٍ؛ فَـ(**مَنَاهِجُ الْعُلُومِ التَّجْرِيبِيَّةِ الصَّحِيحَةِ**): لِمَصْدَرِ الْحَوَاسِّ؛ فَقَوَاعِدُ الْكِيمْيَاءِ لِلْكِيمْيَاءِ، وَقَوَاعِدُ الأَحْيَاءِ لِلأَحْيَاءِ وَهَكَذَا، وَ(**مَنَاهِجُ الأَخْبَارِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً**): لِمَصْدَرِ الْخَبَرِ الصَّادِقِ، وَ(**مَنَاهِجُ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ وَالْبَحْثِ وَالْمُنَاظَرَةِ**): لِمَصْدَرِ الْعَقْلِ، وَلا شَكَّ أَنَّ قَوَاعِدَ الْعَقْلِ حَاكِمَةٌ فِي كُلِّ هَذِهِ الْمَنَاهِجِ مِنَ الْجَوَازِ وَالاسْتِحَالَةِ وَالْوُجُوبِ.

وَ(**مَنَاهِجُ الأَخْبَارِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً**) يَدْخُلُ فِيهَا: عِلْمُ التَّارِيخِ بِفُرُوعِهِ، وَعِلْمُ الْحَدِيثِ بِفُرُوعِهِ، وَعِلْمُ أُصُولِ الْفِقْهِ، وَعِلْمُ اللُّغَةِ بِفُرُوعِهَا، وَعِلْمُ الْقَانُونِ بِفُرُوعِهِ، وَعِلْمُ الْوَضْعِ، وَعِلْمُ تَفْسِيرِ النُّصُوصِ، وَعِلْمُ تَحْلِيلِ الْخِطَابِ.

(٩) «الْحُكْمُ» أَوِ «التَّصْدِيقِ» أَوِ «الاعْتِقَادِ»

الْحُكْمُ: «نِسْبَةُ أَمْرٍ لأَمْرٍ، إِثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا»، وَهُوَ الْمُسَمَّىٰ بِـ«**التَّصْدِيقِ**» وَ«**الاعْتِقَادِ**»، وَمِثَالُهُ فِي الإِثْبَاتِ: (اللهُ مَوْجُودٌ)، وَ(الصَّلاةُ وَاجِبَةٌ)، وَ(النَّارُ مُحْرِقَةٌ)، وَمِثَالُهُ فِي النَّفْيِ: (لا شَرِيكَ للهِ)، وَ(صَوْمُ عَاشُورَاءَ لَيْسَ بِفَرْضٍ)، وَ(السُّكَّرُ لَيْسَ بِحَامِضٍ).

(١٠) أَقْسَامُ الْحُكْمِ

وَالأَحْكَامُ بِحَسَبِ مَصَادِرِهَا ثَلاثَةٌ: الْحُكْمُ الْعَقْلِيُّ، وَالْحُكْمُ الْعَادِيُّ، وَالْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ:

الأَوَّلُ: الْحُكْمُ الْعَقْلِيُّ

وَهُوَ «إِثْبَاتُ أَمْرٍ لأَمْرٍ أَوْ نَفْيُهُ عَنْهُ، مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ عَلَىٰ تَكْرَارٍ، وَلا وَضْعِ وَاضِعٍ»، وَمَصْدَرُهُ: الْعَقْلُ، وَسَبَقَ حَقِيقَتُهُ وَبَعْضُ قَوَاعِدِهِ، كَـ(اللهُ مَوْجُودٌ، ولا شَرِيكَ للهِ)، وَهُوَ عَلَىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

- الأَوَّلُ: (**الْوُجُوبُ**) وَهُوَ: «نَفْيُ قَبُولِ الْعَدَمِ» أو: «هُوَ مَا لا يُتَصَوَّرُ في العَقْلِ عَدَمُهُ»، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ: «**اللازِمُ**»، كَـ(اللهُ مَوْجُودٌ)، **وَدَلِيلُ الْوُجُوبِ**: أَنَّ عَدَمَ الْقَوْلِ بِهِ يُؤَدِّي إِلَىٰ التَنَاقُضِ بَدَاهَةً أَوِ اسْتِدْلالاً وَهُوَ بَاطِلٌ عَقْلاً.
- وَالثَّانِي: (**الاسْتِحَالَةُ**) وَهُوَ: «نَفْيُ قَبُولِ الْوُجُودِ» أو: «هُوَ مَا لا يُتَصَوَّرُ في العَقْلِ وُجُودُهُ»، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ: «**الْمُحَالُ**»، وَ«**الْمُمْتَنِعُ**»، كَـ(شَرِيكُ الْبَارِي مَوْجُودٌ)، **وَدَلِيلُ الاسْتِحَالَةِ**: أَنَّ الْقَوْلَ بِهِ يُؤَدِّي إِلَىٰ التَنَاقُضِ بَدَاهَةً أَوِ اسْتِدْلالاً وَهُوَ بَاطِلٌ عَقْلاً.

- وَالثَّالِثُ: **(الْجَوَازُ)** وَهُوَ: «قَبُولُ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ» أو: «هُوَ مَا يُتَصَوَّرُ في العَقْلِ وُجُودُهُ وعَدَمُهُ»، كَ(النَّارُ مُحْرِقَةٌ)، **وَدَلِيلُ الْجَوَازِ**: أَنَّ الْقَوْلَ بِهِ أَوْ عَدَمَ الْقَوْلِ بِهِ لا يُؤَدِّي إِلَىٰ التَنَاقُضِ، فَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا جَائِزًا عَقْلاً، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْقِسْمِ كُلُّ الأَحْكَامِ الْعَادِيَّةِ.

الثَّانِي: الْحُكْمُ الْعَادِيُّ

وَهُوَ: «رَبْطُ أَمْرٍ بِأَمْرٍ، إِثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا، بِوَاسِطَةِ التَّكْرَارِ، مَعَ صِحَّةِ التَّخَلُّفِ، وَعَدَمِ تَأْثِيرِ أَحَدِهِمَا فِي الآخَرِ أَلْبَتَةَ»، **وَمَصْدَرُهُ**: التَّكْرَارُ وَالتَّجْرِبَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ عَنْ طَرِيقِ الْحَوَاسِّ، كَ(النَّارُ مُحْرِقَةٌ، وَالسُّكَّرُ لَيْسَ بِحَامِضٍ)، وَهُوَ عَلَىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

- الأَوَّلُ: **(الْوُجُوبُ الْعَادِيُّ)** وَهُوَ: «نَفْيُ قَبُولِ الْعَدَمِ»، كَ(النَّارُ مُحْرِقَةٌ)، وَهُوَ جَائِزٌ عَقْلاً، وَلا يَنْخَرِقُ إِلا مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ أَوْ كَرَامَةً لِوَلِيٍّ.
- وَالثَّانِي: **(الاسْتِحَالَةُ الْعَادِيَّةُ)** وَهُوَ: «نَفْيُ قَبُولِ الْوُجُودِ»، كَ(عَوْدَةُ المَيِّتِ إِلَى الحَيَاةِ)، وَهُوَ جَائِزٌ عَقْلاً، وَلا يَنْخَرِقُ إِلا مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ أَوْ كَرَامَةً لِوَلِيٍّ.
- وَالثَّالِثُ: **(الْجَوَازُ الْعَادِيُّ)** وَهُوَ: «قَبُولُ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ»، كَ(هَذَا الدَّوَاءُ يَشْفِي مِنْ هَذَا الْمَرَضِ)، فَقَدْ يَحْصُلُ وَقَدْ لا يَحْصُلُ، إِمَّا بِظَنٍّ غَالِبٍ أو بِشَكٍّ أَوْ بِوَهْمٍ، وَلا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أَيُّ انْخِرَاقٍ.

(الأَسْبَابُ وَالشُّرُوطُ وَالْمَوَانِعُ الْعَادِيَّةُ)

يَلْزَمُ تَوَافُرُ الأَسْبَابِ وَالشُّرُوطِ وَانْتِفَاءُ الْمَوَانِعِ لِتَحَقُّقِ الأَثَرِ وَالنَّتِيجَةِ فِي الْحُكْمِ الْعَادِيِّ، فَحَتَّىٰ تَكُونَ النَّارُ مُحْرِقَةً يَلْزَمُ تَوَافُرُ:

- **سَبَبِهَا**: وَهُوَ الاشْتِعَالُ لِلنَّارِ.
- **وَشَرْطِهَا**: وَهُوَ التَّمَاسُّ بَيْنَ (النَّارِ) وَ(الشَّيْءِ الْمَمْسُوسِ مِنَ النَّارِ) كَالْقُطْنِ مَثَلاً، وَقَابِلِيَّةُ (الْمَمْسُوسِ) لِلاحْتِرَاقِ، فَلا تَكُونُ مِنْ مَادَّةِ الأَسْبِسْتُوسِ مَثَلاً وَالتي تُصْنَعُ مِنْهَا مَلابِسُ رِجَالِ الإِطْفَاءِ، وَتَوَافُرُ الظُّرُوفِ الْمُحِيطَةِ لِحُصُولِ الاشْتِعَالِ كوجود الأُوكْسِجِينَ مَثَلاً، وَغَيْرِها مِنَ الشُّرُوطِ.
- **وَانْتِفَاءُ الْمَانِعِ**: وَهُوَ هُنَا عَدَمُ الْبَلَلِ فِي الْقُطْنِ حَتَّىٰ يَحْصُلَ الاحْتِرَاقُ، وَغَيْرُهَا مِنَ الْمَوَانِعِ.

(قَانُونُ الأَسْبَابِ أَوِ السَّبَبِيَّةِ)

وَيُمْكِنُ تَسْمِيَةُ مَجْمُوعِ هَذِهِ الأُمُورِ مِنَ الأَسْبَابِ وَالشُّرُوطِ وَالْمَوَانِعِ بِـ«**قَانُونِ الأَسْبَابِ**» أَوْ «**قَانُونِ السَّبَبِيَّةِ**»، فَكُلُّ نَتِيجَةٍ تَسْبِقُهَا سَبَبُهَا؛ فَيُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ هِيَ قَاعِدَةٌ حَاكِمَةٌ «**مِنَ الذَّرَّةِ إِلَىٰ الْمَجَرَّةِ**»، وَلا يَتَخَلَّفُ هَذَا الْحُكْمُ

الْعَادِيُّ إِذَا تَوَافَرَتْ أَسْبَابُهُ وَشُرُوطُهُ وَانْتَفَتْ مَوَانِعُهُ إلا مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ أَوْ كَرَامَةً لِوَلِيٍّ، كَانْقِلابِ النَّارِ بَرْدًا وَسَلامًا لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَقَانُونُ السَّبَبِيَّةِ مَا هُوَ إلا مَظْهَرٌ لِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَالْكُلُّ مَخْلُوقٌ للهِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَتُوجَدُ الْمُسَبَّبَاتُ عِنْدَ وُجُودِ أَسْبَابِهَا لا بِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿... **اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[الرعد: ١٦]، وَخَالِقِيَّةُ الْمَوْلَىٰ جَلَّ جَلَالُهُ لِكُلِّ الأَشْيَاءِ تُبْحَثُ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ.

(قَانُونُ الْحَيَاةِ)

وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ كَمَا تَنْطَبِقُ عَلَىٰ الْمَادَّةِ مِنَ الْعَادِيَّاتِ، تَنْطَبِقُ أَيْضًا عَلَىٰ الْعِلاقَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالدَّوْلِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ شُئُونِ الْحَيَاةِ، وَلَكِنْ أَسْبَابَ وَشُرُوطَ وَمَوَانِعَ شُئُونِ الْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ غَيْرُ مَرْئِيَّةٍ وَقَدْ تَكُونُ أَكْثَرَ تَرْكِيبًا وَتَعْقِيدًا مِنَ الْمَادِّيَّاتِ، وَهَذِهِ الأَسْبَابُ وَالشُّرُوطُ وَالْمَوَانِعُ تُدْرَكُ بِالتَّكْرَارِ وَالتَّأَمُّلِ وَالنَّظَرِ وَالتَّحْلِيلِ وَالاخْتِبَارِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ... **فَهَلْ يَنظُرُونَ إلا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾[فاطر: ٤٣-٤٤]، فَسُنَّةُ اللهِ حَاكِمَةٌ فِي كُلِّ الشُّئُونِ.

(مَعْنَىٰ خَرْقِ الْعَادَةِ لِنَبِيٍّ أَوْ لِوَلِيٍّ)

مَعْنَاهُ: أَنَّ الإِرَادَةَ الإِلَهِيَّةَ قَدِ اسْتَثْنَتْ هَذَا (الشَّخْصَ: مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ) مِنْ قَانُونِ الأَسْبَابِ لِحِكْمَةٍ إِلَهِيَّةٍ، فَهُوَ: أَمْرٌ اسْتِثْنَائِيٌّ، لِشَخْصٍ مَخْصُوصٍ، فِي مَوْقِفٍ مَخْصُوصٍ، لا يُقَاسُ وَلا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَتْ قَاعِدَةً مُطَّرِدَةً لِكُلِّ أُمُورِ الْحَيَاةِ وَمَعَ كُلِّ الأَشْخَاصِ، بَلِ الْقَاعِدَةُ الْمُطَّرِدَةُ هِيَ قَانُونُ السَّبَبِيَّةِ حَتَّىٰ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ؛ وَمَا أَمْرُ اللهِ أَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ بِالصَّبْرِ إِلا تَطْبِيقًا عَمَلِيًّا لاطِّرَادِ قَانُونِ السَّبَبِيَّةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾[النحل: ١٢٧].

(قَانُونٌ كُلِّيٌّ)

الْحَيَاةُ الْمَادِّيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ وَالشَّرْعِيَّةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ اطِّرَادِ قَانُونِ السَّبَبِيَّةِ، وَأَيُّ اخْتِلالٍ فِيهَا بِهَدْمِهَا أَوِ انْهِدَامِهَا أَوِ اضْطِرَابِهَا أَوْ عَدَمِ احْتِرَامِهَا يُؤَدِّي إِلَىٰ الْفَسَادِ الْمَادِّيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ وَالشَّرْعِيِّ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

الثَّالِثُ: الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ

وَهُوَ: «خِطَابُ اللهِ تَعَالَىٰ الْمُتَعَلِّقُ بِأَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ»، **وَمَصْدَرُه**: الْخَبَرُ الصَّادِقُ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ سَيِّدِنَا رَسُولِ ﷺ، أَوِ الْمَصَادِرُ التَّابِعَةِ لَهُمَا، وَأَقْسَامُهُ:

- **الْحُكْمُ التَّكْلِيفِيُّ**: وَهُوَ:

(١) **الْفَرْضِيَّةُ، وَالْفِعْلُ هُوَ الْفَرِيضَةُ أَوِ الْوَاجِبُ**: «وَهُوَ الذي يُثَابُ فَاعِلُهُ وَيُعَاقَبُ تَارِكُهُ قَصْدًا»، كَـ(صَلاةُ الظُّهْرِ فَرْضٌ).

(٢) **وَالاسْتِحْبَابُ، وَالْفِعْلُ هُوَ الْمُسْتَحَبُّ**: «وَهُوَ الذي يُثَابُ فَاعِلُهُ، وَلا يُعَاقَبُ تَارِكُهُ»، كَـ(صَلاةُ الْوِتْرِ سُنَّةٌ).

(٣) **وَالإِبَاحَةُ، وَالْفِعْلُ هُوَ الْمُبَاحُ**: «وَهُوَ الذي لا يُثَابُ فَاعِلُهُ، وَلا يُعَاقَبُ تَارِكُهُ»، كَـ(شُرْبُ الْمَاءِ مُبَاحٌ).

(٤) **وَالْكَرَاهَةُ، وَالْفِعْلُ هُوَ الْمَكْرُوهُ**: «وَهُوَ الذي يُثَابُ تَارِكُهُ قَصْدًا، وَلا يُعَاقَبُ فَاعِلُهُ»، كَـ(الأَكْلُ بِالشِّمَالِ مَكْرُوهٌ).

(٥) **وَالتَّحْرِيمُ، وَالْفِعْلُ هُوَ الْحَرَامُ**: «وَهُوَ الذي يُعَاقَبُ فَاعِلُهُ، وَيُثَابُ تَارِكُهُ قَصْدًا»، كَـ(شُرْبُ الْخَمْرِ حَرَامٌ).

- **وَالْحُكْمُ الْوَضْعِيُّ**: وَهُوَ:

(١) **السَّبَبِيَّةُ، وَالْفِعْلُ هُوَ السَّبَبُ**: «وهُوَ مَا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ الْوُجُودُ، وَمِنْ عَدَمِهِ الْعَدَمُ لِذَاتِهِ»، كَـ(دُخُولُ الْوَقْتِ سَبَبٌ لِوُجُوبِ الصَّلاةِ الْمُؤَقَّتَةِ).

(٢) **وَالشَّرْطِيَّةُ، وَالْفِعْلُ هُوَ الشَّرْطُ**: «وهُوَ مَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِهِ الْعَدَمُ، وَلا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ وُجُودٌ وَلا عَدَمٌ لِذَاتِهِ»، كَـ(الطَّهَارَةُ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الصَّلاةِ).

(٣) **وَالْمَانِعِيَّةُ، وَالْفِعْلُ هُوَ الْمَانِعُ**: «وهُوَ مَا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ الْعَدَمُ، وَلا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِهِ وُجُودٌ وَلا عَدَمٌ لِذَاتِهِ»، كَـ(الْقَتْلُ مَانِعٌ مِنَ الْمِيرَاثِ).

(٤) **وَالصِّحَّةُ، وَالْفِعْلُ هُوَ الصَّحِيحُ**: «وهُوَ اسْتِتْبَاعُ الْغَايَةِ: بِبَرَاءَةِ الذِّمَّةِ فِي الْعِبَادَةِ، وَبِتَرَتُّبِ الأَثَرِ فِي الْمُعَامَلَةِ»، كَـ(صَلاةُ الظُّهْرِ صَحِيحَةٌ لِتَوَافُرِ أَسْبَابِهَا وَشُرُوطِهَا وَانْتِفَاءِ مَوَانِعِهَا، فَتَبْرَأُ ذِمَّةُ الْمُكَلَّفِ مِنْ الْمُطَالَبَةِ بِصَلاةِ الظُّهْرِ مَرَّةً أُخْرَىٰ)، وَ(الْبَيْعُ صَحِيحٌ لِتَوَافُرِ أَسْبَابِهِ وَشُرُوطِهِ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعِهِ، فَتَنْتَقِلُ مِلْكِيَّةُ الْمَبِيعِ إِلَىٰ الْمُشْتَرِي، ومِلْكِيَّةُ الثَّمَنِ إِلَىٰ الْبَائِعِ).

(٥) **وَالْبُطْلانُ، وَالْفِعْلُ هُوَ الْبَاطِلُ**: «هُوَ عَدَمُ اسْتِتْبَاعُ الْغَايَةِ: بِعَدَمِ بَرَاءَةِ الذِّمَّةِ فِي الْعِبَادَةِ، وَبِعَدَمِ تَرَتُّبِ الأَثَرِ فِي الْمُعَامَلَةِ»، كَـ(صَلاةُ الظُّهْرِ بَاطِلَةٌ لانْتِفَاءِ سَبَبٍ أَوْ شَرْطٍ أَوْ وُجُودِ مَانِعٍ، فَلا

تَبْرَأُ ذِمَّةُ الْمُكَلَّفِ مِنَ الْمُطَالَبَةِ بِصَلاةِ الظُّهْرِ مَرَّةً أُخْرَىٰ، فَلا تَزَالُ ذِمَّتُهُ مَشْغُولَةً بِهَذِهِ الصَّلاةِ)، وَ(الْبَيْعُ بَاطِلٌ لانْتِفَاءِ سَبَبٍ أَوْ شَرْطٍ أَوْ وُجُودِ مَانِعٍ، فَلا تَنْتَقِلُ مِلْكِيَّةُ الْمَبِيعِ إِلَىٰ الْمُشْتَرِي، وَلا مِلْكِيَّةُ الثَّمَنِ إِلَىٰ الْبَائِعِ).

(**مَطْلَبٌ**) وَالْبَحْثُ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ لِلْوُصُولِ لَلْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ يَتَّبِعُ فِيهِ الْبَاحِثُ قَوَاعِدَ **أُصُولِ الْفِقْهِ** مَنْ حَيْثُ «الْمَصَادِرُ»، وَ«كَيْفِيَّةُ الاسْتِنْبَاطِ»، وَ«شُرُوطُ الْبَاحِثِ: اجْتِهَادًا وَتَقْلِيدًا»، وَهُوَ الْمُتَمَثِّلُ فِي تَعْرِيفِ **أَصُولِ الْفِقْهِ**، حَيْثُ قَالُوا: (**أُصُولُ الْفِقْهِ**): «دَلائِلُ الْفِقْهِ إِجْمَالاً، وَكَيْفِيَّةُ الاسْتِفَادَةِ مِنْهَا، وَحَالُ الْمُسْتَفِيدِ»، وَقِيلَ: «مَعْرِفَتُهَا»، أَيْ: «مَعْرِفَةُ الدَّلائِلِ .. إِلَىٰ آخِرِ التَّعْرِيفِ»، وَتَفْصِيلُهَا هُنَاكَ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ.

(الاجْتِهَادُ وَالتَّقْلِيدُ)

وَالاجْتِهَاد: «اسْتِفْرَاغُ الْفَقِيهِ الْوُسْعَ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ بِدَلِيلِهِ»، **وَالتَّقْلِيدُ**: «أَخْذُ الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ دَلِيلِهِ»، وَالأَوَّلُ أَعْلَىٰ مِنَ الثَّانِي؛ لِشَرَفِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ وَالْعِلْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[النساء: ٨٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾[الزُّمَر: ٩]، وَيَحْرُمُ التَّقْلِيدُ عَلَىٰ الْقَادِرِ عَلَىٰ الاجْتِهَادِ، وَيَحْرُمُ الاجْتِهَادُ عَلَىٰ الْعَاجِزِ عَنْهُ، قَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ وَاجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ**»[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ]، وَالْمُجْتَهِدُ لَهُ شُرُوطٌ وَدَرَجَاتٌ تُعْرَفُ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ، وَمِنْ مُقَدِّمَاتِ عِلْمِ الْفِقْهِ، وَالتَّقْلِيدُ لِلْمُجْتَهِدِ هُنَا «**تَقْلِيدٌ مُسْتَبْصِرٌ**» فِي انْتِقَاءِ مَنْ أُقَلِّدُ مِنَ الأَشْخَاصِ الذِينَ تَوَافَرَتْ فِيهِمُ الأَهْلِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ مِنْ خِلالِ قَبُولِ الْمُؤَسَّسَاتِ الْعِلْمِيَّةِ لِتَأَهُّلِهِمْ.

(قَاعِدَةٌ كُلِّيَّةٌ)

الْحُكْمُ الْعَقْلِيُّ لا يُتَصَوَّرُ تَخَلُّفُهُ وَتَغَيُّرُهُ؛ لأَنَّ تَخَلُّفَهُ أَوْ تَغَيُّرَهُ يُؤَدِّي إِلَىٰ التَّنَاقُضِ وَهُوَ بَاطِلٌ بَدَاهَةً أَوْ اسْتِدْلالاً، فَلا يُتَصَوَّرُ تَحَوُّلُ الْوَاجِبِ إِلَىٰ جَائِزٍ أَوْ مُسْتَحِيلٍ، وَلا يُتَصَوَّرُ تَحَوُّلُ الْمُسْتَحِيلِ إِلَىٰ جَائِزٍ أَوْ وَاجِبٍ، وَلا يُتَصَوَّرُ تَحَوُّلُ الْجَائِزِ إِلَىٰ وَاجِبٍ لِذَاتِهِ أَوْ مُسْتَحِيلٍ لِذَاتِهِ، وَهُوَ «قَلْبٌ لِلْحَقَائِقِ» كَمَا يُسَمُّونَهُ، **وَالْحُكْمُ الْعَادِيُّ وُجُوبًا أَوِ اسْتِحَالَةً** قَدْ يَتَخَلَّفُ اسْتِثْنَاءً مِنْ أَصْلِ الاطِّرَادِ مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ أَوْ كَرَامَةً لِوَلِيٍّ فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ لِفَرْدٍ مَخْصُوصٍ فِي مَوْقِفٍ مَخْصُوصٍ لِحِكْمَةٍ إِلَهِيَّةٍ وَلَيْسَتْ قَاعِدَةً مُطَّرِدَةً، بَلِ الأَصْلُ هُوَ قَانُونُ الأَسْبَابِ الذي هُوَ سُنَّةُ اللهِ فِي كَوْنِهِ، **وَالْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ** قَدْ يَتَغَيَّرُ بِتَغَيُّرِ وَضْعِ الشَّارِعِ لَهُ، كَإِبَاحَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ فِي شَرِيعَةِ سَيِّدِنَا مُوسَىٰ ﷺ، وَتَحْرِيمِهِ فِي شَرِيعَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ ﷺ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ النَّسْخِ في شَرْعِنَا، وَيُبْحَثُ في **عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ**.

(ضَرُورَةُ الْفَصْلِ بَيْنَ الْحُكْمِ: الْعَقْلِيِّ وَالْعَادِيِّ وَالشَّرْعِيِّ)

فَقَدْ يَكُونُ الأَمْرُ جَائِزًا عَقْلاً أَوْ عَادَةً وَيَكُونُ مُحَرَّمًا شَرْعًا، فَلا تَلازُمَ بَيْنَ الانْتِفَاءِ الشَّرْعِيِّ وَالانْتِفَاءِ الْعَادِيِّ وَالْعَقْلِيِّ، فَحُرْمَةُ الزِّنَا مَثَلاً لا يَنْفِي وُجُودَ اللَّذَّةِ وِالْمُتْعَةَ فِي أَثْنَاءِ مُمَارَسَتِهِ عَادَةً وَعَقْلاً، وَالرِّبَا مُحَقِّقٌ لِلْغِنَىٰ وَزِيَادَةِ الْمَالِ عَادَةً فَتَعُودُ مَنْفَعَتُهُ وَمَصْلَحَتُهُ عَلَىٰ الْمُرَابِي، وَلَكِنَّهُ مُحَرَّمٌ شَرْعًا، وَأَكْلُ الْمَالِ الْمَغْصُوبِ أَوِ الْمَسْرُوقِ مُحَرَّمٌ شَرْعًا، مَعَ أَنَّهُ مُشْبِعٌ لآكِلِهِ عَادَةً وَعَقْلاً، وَهَكَذَا، فَلا يَزْعُمَنَّ أَحَدٌ بِخِلافِ ذَلِكَ، وَالْخَلْطُ فِيهِ خَلْطٌ مُفْسِدٌ لِلتَّصَوُّرَاتِ وَالتَّصْدِيقَاتِ.

(١١) تَعَارُضُ الْمَصَادِرِ فِي مَدْلُولاتِهَا: التَّعَارُضُ فِي الْعَقْلِ النَّقْلِ

(١) لا يُتَصَوَّرُ التَّعَارُضُ بَيْنَ قَطْعِيَّيْنِ **عَقْلِيَّيْنِ**؛ لأَنَّ فِيهِ جَمْعًا بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ.

(٢) وَيُتَصَوَّرُ التَّعَارُضُ إِذَا كَانَا قَطْعِيَّيْنِ **نَقْلِيَّيْنِ**، لاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا مُتَقَدِّمًا وَالآخَرُ مُتَأَخِّرًا فَيَكُونُ نَاسِخًا لِلْمُتَقَدِّمِ، كَنَسْخِ حُرْمَةِ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ لِحُكْمِ إِبَاحَتِهِ.

(٣) وَلا يُتَصَوَّرُ التَّعَارُضُ بَيْنَ قَطْعِيٍّ وَظَنِّيٍّ إِذَا كَانَا **عَقْلِيَّيْنِ**؛ لأَنَّ دِلالَةَ الظَّنِّيِّ تَكُونُ هُنَا مُلْغَاةً، وَيُعْمَلُ بِالْقَطْعِيِّ.

(٤) أَمَّا إِذَا كَانَا -أَي: الْقَطْعِيُّ وَالظَّنِّيُّ- **نَقْلِيَّيْنِ** فَإِنَّهُ يُتَصَوَّرُ التَّعَارُضُ لِبَقَاءِ دِلالَةِ كُلٍّ مِنْهُمَا عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَيُقَدَّمُ الْقَطْعِيُّ عَلَىٰ الظَّنِّيِّ لِقُوَّتِهِ، وَيُؤَوَّلُ الظَّنِّيُّ لِيَتَوَافَقَ مَعَ الْقَطْعِيِّ: كَتَقْدِيمِ نَجَاةِ وَالِدَي الْمُصْطَفَىٰ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ الْقَطْعِيِّ ثُبُوتًا وَدِلالَةً، عَلَىٰ حَدِيثِ: «**أَبِي وَأَبُوكَ فِي النَّارِ**» الظَّنِّيِّ ثُبُوتًا وَدِلالَةً، وَيُؤَوَّلُ لَفْظُ: «**أَبِي**» فِي الْحَدِيثِ بِـ: «**عَمِّي**»، كَمَا جَاءَ فِي اللُّغَةِ وَالشَّرْعِ.

(٥) وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَمْتَنِعُ تَعَارُضُ الظَّنِّيَّيْنِ **النَّقْلِيَّيْنِ** فِي الْوَاقِعِ وَنَفْسِ الأَمْرِ مَنْ غَيْرِ وُجُودِ مُرَجِّحٍ لأَحَدِهِمَا عَلَىٰ الآخَرِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَىٰ وُجُودِ تَنَاقُضٍ فِي كَلامِ الشَّارِعِ وَهُوَ مُحَالٌ، لأَنَّهُ إِذَا عُمِلَ بِهِمَا لَزِمَ اجْتِمَاعُ الْمُتَنَافِيَيْنِ كَالْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ، وَإِنْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِمَا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الشَّارِعُ قَدْ نَصَبَهُمَا عَبَثًا وَهُوَ مُحَالٌ، وَإِنْ عُمِلَ بِأَحَدِهِمَا دَوْنَ الآخَرِ كَانَ تَرْجِيحًا مِنْ غَيْرِ مُرَجِّحٍ وَهُوَ بَاطِلٌ.

(٦) وَقَدْ يَحْصُلُ التَّعَارُضُ بَيْنَ ظَنِّيٍّ **عَقْلِيٍّ** وَظَنِّيٍّ **شَرْعِيٍّ**، وَيَكُونُ هَذَا عَادَةً فِي ذِهْنِ الْبَاحِثِ لا عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ وَفِي نَفْسِ الأَمْرِ؛ وَالسِّرُّ فِي هَذَا هُوَ الاحْتِمَالُ فِي الطَّرَفَيْنِ، فَإِنْ قُدِّرَ حُصُولُ هَذَا فَهُمَا مُتَسَاوِيَانِ فِي الْقُوَّةِ، فَيُقَدَّمُ الشَّرْعِيُّ لِشَرَفِهِ، وَفِي الْمَسْأَلَةِ تَفْصِيلٌ لا تَحْتَمِلُهَا هَذِهِ السُّطُورُ.

(٧) وَلا يُتَصَوَّرُ التَّعَارُضُ بَيْنَ قَطْعِيٍّ **عَقْلِيٍّ** وَقَطْعِيٍّ **شَرْعِيٍّ**؛ لأَنَّ فِيهِ جَمْعًا بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ.

(٨) وَيُتَصَوَّرُ التَّعَارُضُ بَيْنَ ظَنِّيٍّ **عَقْلِيٍّ** وَظَنِّيٍّ **عَقْلِيٍّ**، فَإِذَا تَسَاوَيَا مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ فَهُنَا نَتَوَقَّفُ حَيْثُ لا مُرَجِّحَ.

(١٢) تَعَارُضُ (الْحُكْمِ الْعَادِيّ) مَعَ (الْحُكْمِ الشَّرْعِيّ)

وَ(الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ) هُنَا نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوِ السُّنَّةِ، وَمَوْضُوعُهُ (حُكْمٌ دُنْيَوِيٌّ عَادِيٌّ) وَلَيْسَ أَمْرًا دِينِيًّا تَعَبُّدِيًّا، فَإِذَا تَعَارَضَ (**الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ**) هنا مَعَ (**الْحُكْمِ الْعَادِيّ**) فَفِيهِ احْتِمَالاتٌ:

(١) **أَنْ يَكُونا قَطْعِيَّيْنِ:** وَبِالاسْتِقْرَاءِ لا يَكُونُ (**الشَّرْعِيُّ الْقَطْعِيُّ**) هُنَا الْمُعَارِضُ (**لِلْعَادِيّ الْقَطْعِيّ**) إِلَّا مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ أَوْ كَرَامَةً لِوَلِيٍّ، كَـ(**بَرْدِ النَّارِ**) عَلَىٰ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَلا يُوجَدُ تَعَارُضٌ بَيْنَ هَذَا (**الشَّرْعِيّ الْقَطْعِيّ الاسْتِثْنَائِيّ**) -بِكَوْنِهِ مُعْجِزَةً أَوْ كَرَامَةً- مَعَ (**الْقَطْعِيّ الْعَادِيّ**) بِأَنَّ (**النَّارَ مُحْرِقَةٌ**)؛ لأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا مِنَ الْجَائِزَاتِ الْعَقْلِيَّةِ التي يُمْكِنُ تَخَلُّفُهَا عَقْلاً كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي أَحْكَامِ الْعَادَةِ، وَلا يَحْصُلُ هَذَا إِلَّا اسْتِثْنَاءً مِنَ الأَصْلِ مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ أَوْ كَرَامَةً لِوَلِيٍّ، فَلا يُوجَدُ -بِالاسْتِقْرَاءِ- (**الشَّرْعِيُّ الْقَطْعِيُّ الدَّآلُّ عَلَىٰ الاطِّرَادِ**) وَالذي يَتَعَارَضُ مَعَ (**الْعَادِيّ الْقَطْعِيّ الْمُطَّرِدِ**)، وَمَن لَدَيْهِ مِثَالٌ لِهَذَا التَّعَارُضِ فَلْيَأْتِ بِهِ حَتَّىٰ يُعْرَضَ عَلَىٰ أَهْلِ العِلْمِ لِيُزِيلُوا هَذَا التَّعَارُضَ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلانُ.

(٢) **أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ قَطْعِيًّا وَالْحُكْمُ الْعَادِيُّ ظَنِّيًّا:** كَمَجِيءِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ سَيِّدِنَا آدَمَ عليه السلام قَطْعًا: ثُبُوتًا وَدِلَالَةً مِنْ آيَةِ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾، وَالدِّلَالَةُ القَطْعِيَّةُ لِحَدِيثِ: «**النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ**»[رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبو دَاود التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ]، وَغَيْرِهَا مِنَ النُّصُوصِ، وَمَعَارَضَتِهِ مَعَ (**الْحُكْمِ الْعَادِيّ الظَّنِّيّ**) بِمَجِيءِ الْبَشَرِ جَمِيعًا مِنَ «**نَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ**»، أَوْ بِمَجِيءِ طَائِفَةٍ مِنَ الْبَشَرِ مِنَ «**نَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ**» وَطَائِفَةٍ أُخْرَىٰ مِنْ سَيِّدِنَا آدَمَ عليه السلام، ثُمَّ الْتَقَتِ الطَّائِفَتَانِ وَجَاءَتْ مِنْهُمَا بَقِيَّةُ الْبَشَرِيَّةِ، فَيُطْرَحُ (**الظَّنِّيُّ الْعَادِيُّ**) فِي مُقَابِلِ (**الْقَطْعِيّ الشَّرْعِيّ**)، أَوْ يُفْهَمُ (**الظَّنِّيُّ الْعَادِيُّ**) فِي إِطَارِ وَحُدُودِ (**الْقَطْعِيّ الشَّرْعِيّ**)، أَمَّا مَجِيءُ طَائِفَةٍ مِنَ البَشَرِ قَبْلَ سَيِّدِنَا آدَمَ عليه السلام وَأَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مِنَ البَشَرِ جَاءَتْ نَتِيجَةَ التَّطَوُّرِ ثُمَّ انْقَرَضَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ وبَادَتْ، وَلَمْ يَعُدْ لَهَا وُجُودٌ أَوْ نَسْلٌ الآنَ اللَّهُمَّ إِلَّا في الحَفْرِيَّاتِ، فَهَذا لَمْ نَجِدْ لَهُ تَعَارُضًا مَعَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ فَهُوَ جَائِزٌ عَقْلاً، وَقَدْ يَكُونُ جَائِزًا عَادَةً، وَيَتَبَقَّىٰ إِثْبَاتُهَا تَجْرِيبِيًّا، وَاللهُ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

تَنْبِيهٌ: تَسْمِيَتُنَا لِـ«**نَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ**» بِـ«**الْحُكْمِ الْعَادِيّ**» فِيهِ تَجَوُّزٌ وَتَسَمُّحٌ مِنَّا، وَإِلَّا فَإِنَّ «**نَظَرِيَّةَ التَّطَوُّرِ**» فِي بَعْضِ مَجَالاتِهَا لا يُسَلِّمُ بِهَا كَثِيرٌ من الْعُلَمَاءِ التَّجْرِيبِيِّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ التَّجْرِيبِيِّينَ مِنَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ وَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ ثُبُوتُهَا تَجْرِيبِيًّا، وَأَعْنِي: فِي مَجَالِ تَطَوُّرِ الأَصْلِ الْبَشَرِيّ، وَلِذَلِكَ لا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مُسَمَّىٰ «**الْحُكْمِ الْعَادِيّ**» مِنْ حَيْثُ الاصْطِلاحُ إِلَّا عَلَىٰ وَجْهِ التَّجَوُّزِ وَالتَّسَمُّحِ.

(٣) **أَنْ يَكُونَ الشَّرْعِيُّ ظَنِّيًّا وَالْعَادِيُّ قَطْعِيًّا:** كَثُبُوتِ (**كُرَوِيَّةِ الأَرْضِ**) بِالْمُشَاهَدَةِ وَغَيْرِهَا، وَاحْتِمَالِ (**عَدَمِ كُرَوِيَّتِهَا**) مِنْ بَعْضِ النُّصُوصِ، فَيُؤَوَّلُ (**النَّصُّ الظَّنِّيّ**) بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ (**الْحُكْمِ الْعَادِيّ الْقَطْعِيّ**)، وَكَحَدِيثِ: «**أَنَّ الشَّمْسَ عِنْدَ الْغُرُوبِ تَذْهَبُ لِتَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ**» مَعَ أَنَّهَا فِي الْحُكْمِ الْعَادِيّ تَظَلُّ

فِي مِحْوَرِهَا، وَالْغُرُوبُ وُالشُّرُوقُ بِسَبَبِ دَوَرَانِ الأَرْضِ حَوْلَ الشَّمْسِ، فَتُؤَوَّلُ هَذِهِ النُّصُوصُ بِمَعَانٍ مَجَازِيَّةٍ: بِأَنَّ مَعْنَىٰ الذَّهَابِ وَالسُّجُودِ هُوَ خُضُوعُ الشَّمْسَ للهِ ﷻ.

(٤) **أَنْ يَكُونَا ظَنِّيَّيْنِ**: كَالاختلاف بين (ثُبُوتِ) وَ(عَدَمِ ثُبُوتِ) تَأْثِيرِ الْعَيْنِ -لا الحَسَدِ- ظَنًّا بَيْنَ **(النصّ)** وَبَيْنَ **(الْحِسّ وَالْعَادَةِ)**، فَتَخْتَلِفُ الأَنْظَارُ فِي بَحْثِهِ، **وَالْمُخْتَارُ عِنْدَ بَعْضِ الْبَاحِثِينَ وَإِلَيْهِ أَمِيلُ**: أَنَّ هَذا الأَمْرَ -أَعْنِي: الْعَيْنَ- تَوَهُّمَاتٌ وَتَخْيِيلاتٌ فِي ظَنِّ الشَّخْصِ تَحْصُلُ عِنْدَ انْفِعَالِ نَفْسِهِ بِأَمْرٍ مَعْنَوِيٍّ فَيَتَأَثَّرُ الْجَسَدُ حَقِيقَةً بِهَذَا التَّوَهُّمِ، لا لأَنَّ فِيهِمَا شَيْئًا مُضِرًّا بِذَاتِهِمَا عَادَةً، وَذَلِكَ كَنَحْوِ تَوَهُّمِ الرَّائِي لِلسَّرَابِ، وَتُزَالُ هَذِهِ التَّوَهُمَاتُ بِقُوَّةِ النَّفْسِ بِنَحْوِ التَأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ، وَالأَدْعِيَةِ وَالرُّقَىٰ وَالذِّكْرِ، وَهَذِهِ التَّوَهُّمَاتُ وَالتَّخْيِيلاتُ نَوْعٌ مِنَ الأَمْرَاضِ التي تَطْرَأُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ وَلا تُؤَثِّرُ فِي قُوَاهُ الْعَقْلِيَّةِ مِنْ حُيْثُ كُونُهُ عَاقِلاً أَوْ غَيْرَ عَاقِلٍ.

(فَائِدَةٌ) يُبْحَثُ التَّعَارُضُ وَالتَّرْجِيحُ بِتَفْصِيلٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا فِي **عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ**، وَفِيهِ تَفْصِيلٌ مِنْ بَابِ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ لِنُصُوصِ الأَخْبَارِ فِي عِلْمِ الحَدِيثِ وَأُلِّفَتْ فِيهِ كُتُبُ **(اخْتِلافِ الْحَدِيثِ)** وَمِمَّنْ اشْتَهَرَ بِهِ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ﷺ، وَلِلإِمَامِ الطَّحَاوِيِّ كِتَابُ «**مُشْكِلِ الآثَارِ**» وَهُوَ دَقِيقٌ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ، وَفِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ التَّعَارُضِ بِيْنَ الآيَاتِ وَالْجَمْعِ وَالتَّرْجِيحِ بَيْنَ مَعَانِيهَا، وَالإِمَامُ الرَّازِيُّ لَهُ اهْتِمَامٌ بِهَذَا الْبَابِ فِي تَفْسِيرِهِ «**مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ**»، وَأُلِّفَتْ فِيهِ كُتُبُ **(مُشْكِلِ الْقُرْآنِ)** وَ**(مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ)**، وَفِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ التَّعَارُضِ وَالْجَمْعِ وَالتَّرْجِيحِ بَيْنَ الْعَقْلِيَّاتِ وَالنَّقْلِيَّاتِ وَالْعَادِيَّاتِ، وَلَوْ تَصَدَّىٰ لَهُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ لِلتَّأْلِيفِ فِيهِ بِتَفْصِيلٍ وَإِفْرَادٍ لِمَوْضُوعَاتِهِ فَإِنَّهُ سَيُثْرِي الْعِلْمَ بِتَصْنِيفِهِ، وَخَاصَّةً فِي تَعَارُضِ الْعَادِيَّاتِ مَعَ النَّقْلِيَّاتِ، وَالْجَمْعِ وَالتَّرْجِيحِ بَيْنَهَا، وَلِمُفْتِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الشَّيْخِ (بخِيتٍ الْمُطِيعِي) مُؤَلَّفٌ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ النَّقْلِيَّاتِ وَالْعَادِيَّاتِ وَهُوَ «**تَوْفِيقُ الرَّحْمَنِ بَيْنَ مَا قَالَهُ عُلَمَاءُ الْهَيْئَةِ وَبَيْنَ مَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَآيَاتِ الْقُرْآنِ**»، فَخَصَّهُ بِعِلْمِ الْهَيْئَةِ، وَلِلشَّيْخِ (خَالِدٍ مُحْمُودٍ) كِتَابُ «**إِزَالَةِ الأَوْهَامِ عَنْ دِينِ الإِسْلامِ**»، أَصَّلَ وَقَعَّدَ لِمَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْهَمُ مِنْهُ التَّعَارُضُ بَيْنَ الْعَادِيَّاتِ وَالشَّرْعِيَّاتِ، وَجَاءَ بِأَمْثِلَةٍ عِدَّةٍ، وَأَزَالَ عَنْهَا هَذَا التَّعَارُضَ، وبَحْثُهُ جَدِيرٌ بِالنَّظَرِ وَالْمُنَاقَشَةِ، وَقَدْ يَتَّفَقُ أَوْ يَخْتَلَفُ البَاحِثُونَ مَعَهُ في بَعْضِ تَأْصِيلِهِ وبَعْضِ تَطْبِيقَاتِهِ، وَالْمَوْضُوعُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ إِثْرَاءٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ.

هَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ عِنْدَ التَّعَارُضِ بين «عَقْلِيَّيْنِ»، وَ«شَرْعِيَّيْنِ»، وَ«بَيْنَ عَقْلِيٍّ وَشَرْعِيٍّ»، وبين «شَرْعِيٍّ وَعَادِيٍّ»، أَوْ «عَادِيَّيْنِ»، وَعَلَىٰ **نَحْوِهِ** نَسِيرُ عِنْدَ التَّعَارُضِ بَيْنَ «عَقْلِيٍّ وَعَادِيٍّ».

(١٣) اللَّفْظُ وَالْمَعْنَىٰ

جَعْلُ اللَّفْظِ بِإِزَاءِ الْمَعْنَىٰ يُسَمَّىٰ: «**الْوَضْعَ**»، وَهُوَ اللُّغَةُ: عَرَبِيَّةً كَانَتْ أَمْ غَيْرَهَا، **وَوَاضِعُهُ**: هُوَ اللهُ عَلَىٰ الصَّحِيحِ مِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، **وَقِيلَ**: وَاضِعُهُ الْبَشَرُ عَلَىٰ حَسَبِ الْحَاجَةِ والاصْطِلاحِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْمُعْتَزِلَةُ، **وَقِيلَ**: إِنَّ اللهَ عَلَّمَ سَيِدَنَا آدَمَ ﷺ أُصُولَ الْوَضْعِ وَأُصُولَ الاشْتِقَاقِ ثُمَّ أَكْمَلَ الْبَشَرُ تَوْلِيدَ اللُّغَةِ بِنَاءً عَلَىٰ تِلْكَ الأُصُولِ وَهُوَ قَوْلُ الأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الإِسْفَرَايِينِيّ، **وَقِيلَ**: بِالتَّوَقُّفِ.

فَـ«**أَسَدٌ**» لَفْظٌ وُضِعَ فِي اللُّغَةِ لاسْتِعْمَالِهِ أَصْلاً فِي الْحَيَوَانِ الْمُفْتَرِسِ، فَاسْتِعْمَالُ الْمُتَكَلِّمِ لِهَذَا اللَّفْظِ فِي مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ الذي وُضِعَ لَهُ يُسَمَّىٰ: «**حَقِيقَةً**»، وَإِذَا اسْتَعْمَلَهُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ فِي اصْطِلاحِ التَّخَاطُبِ، لِعِلاقَةٍ بَيْنَ اللَّفْظِ وَذَلِكَ الْمَعْنَىٰ، وَقَرِينَةٍ تُشِيرُ إِلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ يُسَمَّى: «**مَجَازًا**»، كَاسْتِعْمَالِ لَفْظِ الْـ«**أَسَدِ**» فِي «**الرَّجُلِ الشُّجَاعُ**»، فِي قَوْلِنَا: «رَأَيْتُ أَسَدًا يُقَاتِلُ فِي الْمَيْدَانِ بِسَيْفِهِ»، وَلَوْلا الْقَرِينَةُ، وَهِيَ: «يُقَاتِلُ .. بِسَيْفِهِ» لَمَا فُهِمَ مِنْهُ إِلا الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ.

(١٤) أَنْوَاعُ الْمَجَازِ

الْمَجَازُ بِاعْتِبَارِهِ لَفْظًا: إِمَّا لُغَوِيٌّ، أَوْ شَرْعِيٌّ، أَوْ عُرْفِيٌّ خَاصٌّ، أَوْ عَامٌّ، **فَاللُّغَوِيُّ**: كَلَفْظِ الْـ«أَسَدِ» إِذَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُتَكَلِّمُ فِي: «الرَّجُلِ الشُّجَاعِ»، **وَالشَّرْعِيُّ**: كَلَفْظِ الْـ«صَّلاةِ» إِذَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُتَكَلِّمُ بِعُرْفِ الشَّرْعِ فِي: «الدُّعَاءِ الْمَخْصُوصِ»، مَعَ أَنَّهُ فِي اللُّغَةَ بِمَعْنَىٰ: «مُطْلَقِ الدُّعَاءِ»، **وَالْعَرْفِيُّ الْخَاصُّ**: كَلَفْظِ «فِعْلٌ» إِذَا اسْتَعْمَلَهُ النَّحْوِيُّ بِالعُرْفْ الْخَاصِّ في: «مَا قَابَلَ الاسْمَ وَالْحَرْفَ»، مَعَ أَنَّهُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَىٰ: «الْحَدَثِ»، **وَالْعُرْفِيُّ الْعَامُّ**: كَلَفْظِ «الدَّآبَّةِ» إِذَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْعُرْفِ الْعَامِّ فِي: «الْفَرَسِ وَالْبَغْلِ»، مَعَ أَنّه فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَىٰ: «كُلُّ مَا يَدُبُّ وَيَتَحَرَّك».

(قَاعِدَةٌ) فَعِنْدَ سَمَاعِ خِطَابٍ أَوْ قِرَاءَةِ كِتَابٍ، يَلْزَمُ تَمْيِيزُ مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ كَلامِهِ، هَلْ يَقْصِدُ بِهِ: الْحَقِيقَةَ، أَمِ الْمَجَازَ اللُّغَوِيَّ، أَمِ الْمَجَازَ الشَّرْعِيَّ، أَمِ الْمَجَازَ الْعُرْفِيَّ الْخَاصَّ، أَمِ الْمَجَازَ الْعُرْفِيَّ الْعَامَّ، حَتَّىٰ لا يَخْتَلِطَ أَوْ يَلْتَبِسَ عَلَيْنَا الْكَلامُ فَنَفْهَمَهُ عَلىٰ غَيْرِ وَجْهِهِ، فَنَقَعَ فِي خَطَإٍ فِي الاسْتِدْلالِ.

(١٥) مَصَادِرُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

وَيُعْرَفُ هَذَا الاسْتِعْمَالُ لِلَّفْظِ اللُّغَوِيّ حَقِيقَةً وَمَجَازًا: مِنَ الْقَرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمِنْ كَلامِ الْعَرَبِ شِعْرًا وَنَثْرًا، وَالْعُمْدَةُ هُنَا عَلَىٰ مَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْهُمْ بِالأَسَانِيدِ الْمُعْتَبَرَةِ مِنْ نَثْرِهِمْ وَنَظْمِهِمْ مُتَوَاتِرًا أَوْ آحَادًا، وهَلْ مِنَ الْمَصَادِرِ اللُّغَوِيَّةِ: الْحَدِيثُ الْمُعْتَبَرُ سَنَدًا وَلَفْظًا وَمَعْنًى مِنْ كَلامِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فِيهِ خِلافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، والْجُمْهُورُ عَلَىٰ عَدَمِ اعْتِبَارِ مَصْدَرِيَّتِهِ؛ لِقَوْلِ الْمُحَدِّثِينَ بجَوَازِ الرِّوَايَةِ بِالْمَعْنَىٰ فلا يُؤْمَنُ الْخَطَأُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ اللُّغَةِ.

وَالْعَرَبُ هُمْ: سَيِّدُنَا إِسْمَاعِيلَ ﷺ وَوَلَدُهُ، وَقُرَيْشٌ أَفْصَحُ الْعَرَبِ، وَلُغَتُهَا هِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَنَزَلَ مُعْظَمُ الْقُرْآنِ بِلِسَانِهَا، وَكَذَا بِلِسَانِ غَيْرِهِمْ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ.

وَطَبَقَاتُ الاسْتِشْهَادِ مِنَ الْعَرَبِ هُمْ: **الْجَاهِلِيُّونَ**: الذينَ لَمْ يُدْرِكُوا الإِسْلامَ كَامْرِئِ الْقَيْسِ، **وَالْمُخَضْرَمُونَ**: الذينَ أَدْرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَالإِسْلامَ كَحَسَّانَ بنِ ثَابِتٍ وَكَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ، **وَالإِسْلامِيُّونَ**: الذينَ نَشَأُوا فِي صَدْرِ الإِسْلامِ كَالفَرَزْدَقِ وَجَرِيرٍ، **أَمَّا الْمُوَلَّدُونَ**: وَهُمْ مَنْ بَعْدَ الإِسْلامِيِّينَ، وَتَبْتَدِئُ طَبَقَتُهُمْ بِـ(بَشَّارِ بنِ بُرْدٍ) الْمَتَوَفَّىٰ سَنَةَ (**١٦٧هـ**)، فَلا يُحْتَجُّ بِشَيْءٍ مِنْ كَلامِهِمْ فِي أَحْكَامِ اللِّسَانِ، **فَالطَّبَقَتَانِ الأُولَيَانِ**: يُسْتَشْهَدُ بِشِعْرِهِمَا إِجْمَاعًا، **وَالثَّالِثَةُ**: الصَّحِيحُ الاسْتِشْهَادُ بِكَلامِهَا، **وَالرَّابِعَةُ**: لا يُسْتَشْهَدُ بِكَلامِهَا، **وَقَالَ بَعْضٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ**: الذينَ كَانُوا فِي مُحِيطٍ عَرَبِيٍّ أَصِيلٍ: بَادِيَةً كَانَ أَمْ حَضَرًا، وَلَمْ يَدْخُلِ الْفَسَادُ فِي لِسَانِهِمْ، يُسْتَشْهَدُ بِكَلامِهِمْ وَإِنْ كَانُوا فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ، كَالإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ﷺ وَأَضْرَابِهِ، أَمَّا نَحْوُ قَوْلِهِمْ: «الشَّافِعِيُّ حُجَّةٌ في اللُّغَةِ» فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ لِثِقَتِهِ وَدِيَانَتِهِ لَا يَنْقُلُ تَفْسِيرًا في اللُّغَةِ إِلَّا إذَا سَمِعَهُ مِنَ الْمَوْثُوقِ بِهِمْ فِيهَا فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ أَنْ يَقُولَ: قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ كَذَلِكَ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الشَّبْرَامَلِّسِيُّ في حَاشِيَتِهِ عَلَىٰ النِّهَايَةِ.

(١٦) دِلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ تَمَامِ مَعْنَاهُ أَوْ جُزْئِهِ أَوْ لُزُومِهِ

وَدِلالَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ تَمَامِ مَعْنَاهُ تُسَمَّىٰ: «**دِلالَةَ مُطَابَقَةٍ**»؛ لِمُطَابَقَةِ الدَّالِّ لِلْمَدْلُولِ، وَدَلالَتُهُ عَلَىٰ جُزْءِ مَعْنَاهُ تُسَمَّىٰ: «**دِلالَةَ تَضَمُّنٍ**»؛ لِتَضَمُّنِ اللَّفْظِ لِجُزْءِ الْمَعْنَىٰ الْمَدْلُولِ، وَدِلالَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ لازِمِ مَعْنَاهُ الذِّهْنِيِّ سَوَاءٌ لَزِمَهُ فِي الْخَارِجِ أَمْ لا تُسَمَّىٰ: «**دِلالَةَ الْتِزَامٍ**»؛ لاسْتِلْزَامِ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَىٰ الْمَدْلُولِ.

(**مِثَالٌ**) كَدِلالَةِ لَفْظِ «الْبَيْتِ» عَلَىٰ الْعِمَارَةِ السَّكَنِيَّةِ كُلِّهَا **فِي الْأَوَّلِ**، وَكَدِلالَةِ لَفْظِ «الْبَيْتِ» عَلَىٰ غُرْفَةٍ فِيهِ **فِي الثَّانِي**، وَكَدِلالَةِ لَفْظِ «الْبَيْتِ» عَلَىٰ مَنْ بَنَاهُ **فِي الثَّالِثِ**.

(١٧) عَقَبَاتٌ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ الْحَقَائِقِ

وَقَدْ يَعْرِضُ لِلإِنْسَانِ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْوُصُولِ لِلْحَقِيقَةِ، **وَمِنْهَا**: الرِّضَا بِالْجَهْلِ وَالتَّقَاعُسُ عَنِ السَّعْيِ وَهُوَ الْكَسَلُ، وَحَقِيقَتُهُ: الْبُخْلُ بِالْوَقْتِ وَالْجُهْدِ، **وَمِنْهَا**: الإِعْرَاضُ عَنِ السَّمَاعِ بِالإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ وَالْغُرُورِ، **وَمِنْهَا**: الأَحْكَامُ وَالأَفْكَارُ الْمَسْبَقَةِ، **وَمِنْهَا**: الْبِيئَةُ الْمُحِيطَةُ الْمُؤَثِّرَةُ الْمَانِعَةُ مِنَ الاسْتِجَابَةِ لِلْحَقِّ أَوْ الْمُشَوِّشَةُ عَلَيْهِ: كَذَوِي الْقَرَابَاتِ وَالصَّدَاقَاتِ وَالأَسَاتِذَةِ وَالْقُدْوَاتِ وَالإِعْلامِ وَوَسَائِلِ التَّوَاصِلِ الاجْتِمَاعِيِّ، **وَمِنْهَا**: التَّصَوُّرَاتُ الْمُشَوَّهَةُ وَالأَدِلَّةُ الضَّعِيفَةُ، **وَمِنْهَا**: الإِلْفُ وَالْعَادَةُ وَخَوْفُ تَغْيِيرِهَا، **وَمِنْهَا**: غَلَبَةُ جَانِبٍ لَدَىٰ الإِنْسَانِ عَلَىٰ جَانِبٍ آخَرَ كَالْحِسِّيَّاتِ عَلَىٰ الْعَقْلِيَّاتِ، فَيُنْكِرُ الْعَقْلِيَّاتِ، **وَمِنْهَا**: جُحُودُ الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا.

(١٨) مِعْيَارُ الْحَقِيقَةِ وَمِلاكُهَا

مِعْيَارُ الْحَقِيقَةِ هُوَ: الْحُجَّةُ وَالدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ، فَمَنْ كَانَتْ الْحُجَّةُ مَعَهُ فَهُوَ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَمَنْ مَلَكَ الْحُجَّةَ وَالدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانِ فَقَدْ مَلَكَ الْحَقِيقَةَ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ إلا الْخَطَأَ وَالْبَاطِلَ وَالضَّلالَ وَالْفَسَادَ وَالْكِبْرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إلا الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ**﴾[يُونُس: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[الْبَقَرَة: ١١١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**﴾[الْمُؤْمِنُون: ٧١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾[النَّمْل: ١٣-١٤]، وَقَالَ سَيِّدُ الْبَرِيَّاتِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمَاتِ: «**الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[رَوَاهُ مُسْلِمٌ]، وَبَطَرُ الْحَقِّ: أَيْ: رَفْضُ الْحَقِّ، وَلِكُلِّ عِلْمٍ حُجَّتُهُ وَدَلِيلُه وَبُرْهَانُهُ: مِنَ الْعَقْلِ، وَالْخَبَرِ الصَّادِقِ، وَالْعَادَةِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ.

(قَاعِدَةٌ) قَالَ سَيِّدُنَا الإِمَامُ عَلِيٌّ ﷺ: «لا يُعْرَفُ الْحَقُّ بِالرِّجَالِ، اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ».

(١٩) (خَاتِمَةٌ)

هَذَا الْمَنْهَجُ السَّابِقُ فِي طَلَبِ مَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ تَصَوُّرًا وَتَصْدِيقًا حَاكِمٌ عَلَىٰ كُلِّ الْحَقَائِقِ الْمَعْرِفِيَّةِ لِلإِنْسَانِ، شَرْعِيَّةً كَانَتْ أَوْ عَقْلِيَّةً أَوْ عَادِيَّةً أَوْ تَجْرِيبِيَّةً أَوِ اجْتِمَاعِيَّةً أَوْ سِيَاسِيَّةً أَوْ تَارِيخِيَّةً أَوْ فَنِّيَّةً أَوْ تَرْبَوِيَّةً أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الْمَعَارِفِ.

﴿**حَدِيثٌ شَرِيفٌ**﴾ عَنِ الْحَارِثِ بنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ، أَنَّهُ مَرَّ بِسَيِّدِنَا رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ ؟»، قَالَ: «أَصْبَحْتُ **مُؤْمِنًا حَقًّا**»، قَالَ ﷺ: «**انْظُرْ** مَا تَقُولُ، **فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ**، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟»، فَقَالَ: «عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا؛ فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا»، فَقَالَ ﷺ: «يَا حَارِثُ **عَرَفْتَ فَالْزَمْ**» ثَلاثًا.[رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ]، **فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ: الْعَارِفِينَ لِطَرِيقِكَ، اللازِمِينَ لَهُ، الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، الصَّابِرِينَ عَلَيْهِ**.

﴿**وَاللهُ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ ... وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ وَالِدَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَسَلَّمَ**﴾

الْفِهْرِسُ